أثرُ السِّياق الصَّوتي في توجيه بعض ظواهر الرَّسم العثماني

إبدالُ «الألف» «واواً» نموذجاً

د. سعد محمَّد عبد الغفار يوسف

أستاذ البلاغة والنقد الأدبي المساعد،
بكلية الآداب، جامعة الوادي الجديد، مصر

ملخص البحث

تناولتْ كثيرٌ من الأبحاث والدِّراسات ظواهرَ الرَّسم العثماني بالوصف والتَّحليل، إلَّا أنَّها لم تُعْنَ ببيان أثر السِّياق الصَّوتي في توجيه بعض ظواهر الرَّسم العثماني، على الرغم من أهميته، ومن هنا تأتي عناية هذا البحث بالوقوف على أثر السِّياق الصَّوتي بأوسع معانيه، في توجيه بعض ظواهر الرَّسم العثماني، متخذاً من ظاهرة «إبدال الألف واواً نموذجاً». وقد عالج البحث هذه الظَّاهرة في ثلاثة مباحث؛ تناول **أولها**: المقدمات التَّأسيسيَّة التي اعتنتْ بتحرير أهم مصطلحات البحث. وتناول **الثاني**: أثر اللَّهَجات، والتاريخ اللُّغوي في ظاهرة إبدال الألف واواً في رسم المصحف الشريف. أمَّا **الثَّالث** فتناول: أثر البنية الصَّوتيَّة للكلمة في رسم الألف واواً في المصحف الشريف.

وقد توصَّلَ البحث إلى مجموعة من النتائج، منها:

١. أنَّ ظاهرة إبدال الألف واواً في الرَّسم العثماني لا تدل على سوء هجاء الأولين، كما زعم البعض، وإنَّما تُعبِّرُ عن نمطٍ من أنماط الهجاء السَّائد وقت كتابة المصحف الإمام.

٢. أظهرَ البحث نجاح ظواهر الرَّسم في تمثيل النَّسق الصَّوتي للأداء القرآني على النَّحو الذي تلقاه الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٣. بيَّنَ البحث جوازَ تأثُّر الأداء الصَّوتي للألفاظ التي أُبدلِتْ فيها الألف واواً في رسم المصحف بالأداء النُّطقي لنفس الألفاظ في بعض اللُّغات السَّامِّية التي انفرعتْ مع العربية عن السَّامِّية الأم.

٤. برهنَ البحث على أنَّ إبدال «الألف» «واواً» في رسم المصحف ليس متعلقاً بالسِّياق الصَّوتي للألف في بنية الكلمات محل الظاهرة، وإنَّما له سببٌ لهجيٌّ؛ يتعلَّقُ بظاهرة التَّفخيم الفاشية في بيئة الحجاز اللُّغويَّة التي نزل القرآن الكريم بها.

٥. دللَ البحث على أنَّ ظاهرة إبدال الألف واواً في رسم المصحف الشريف تمثِّلُ أحد مظاهر فصاحة اللَّفظ القرآني؛ لموافقتها لهجة عربية فصيحة.

الكلمات المفتاحية: رسم المصحف - إبدال الألف واواً - السِّياق الصَّوتي - التَّفخيم.

المقدمة

بسم الله استعانةً وبركة، والحمد لله ثناءً وشكراً، والصَّلاة والسَّلام على سيدنا محمّدٍ أشرف الخلق خُلُقاً وخَلْقاً، وعلى آله وصحبه المستكملين الشَّرف. أمَّا بعد:

فإنَّه لما كان اللَّفظُ سابقاً على الخطِّ في اللُّغات جميعها؛ فإنَّ من البديهي أن تكون الكتابةُ أقل وفاءً بتمثيل جميع الظَّواهر الصَّوتيَّة للكلام الملفوظ؛ ولعلَّ هذا مِمَّا يُفسِّرُ لنا تنزُّلَ القرآنِ تنزُّلاً صوتيّاً؛ حتَّى باتَ الأصلُ في حفظه التَّلقي عن أصحاب الأسانيد الصَّحيحة المتواترة عن النَّبي ﷺ؛ لِمَا له من خصوصية في الأداء لا تنفصلُ عن مراد الله تعالى فيه؛ ولذلك صارت «القراءة سنَّة مُتَّبَعَة»، هذا من جهة اللَّفظ. أمَّا من جهة الرَّسم؛ فقد اتفقَ علماءُ القراءات جميعاً على أنَّ موافقة الرَّسم العثماني، ولو احتمالاً، أحد شروط القراءة الصَّحيحة؛ لكونه يعكسُ مظاهرَ الوَعْي بالأداء القرآني لدى كَتبَةِ الوحي الشَّريف رضي الله عنهم، ذلك الوَعْي الذي تُجسِّده بعضُ الظَّواهر الهجائيَّة التي خالفَ فيها الرَّسمُ العثماني الرَّسمَ القياسي، وهي ظواهر وقعتْ في رسم الكَتَبَةِ رضي الله عنهم عن وَعْيٍّ بأنماط الهجاء (Orthography) السَّائد في عصرهم، التي لها فلسفتها، أو قُلْ عللها الصَّوتية التي تُفسِّرُها، وهو ما سوف يحاول هذا البحث الكشفَ عنه.

إشكالية البحث:

تتعلَّق الإشكالية التي يُثيرها البحث بالوقوف على دور اللَّهجات، وتاريخ التطور اللُّغوي للعربية، وأثر البنية الصوتيَّة للكلمة - بوصفهما سياقاً صوتيّاً - في توجيه بعض ظواهر الرَّسم العثماني، وهي إشكاليةٌ تطرح مجموعة من الأسئلة، على النحو الآتي:

أسئلة البحث:

١. هل أثَّرَتِ اللَّهجات، وتاريخ تطور العربيَّة، بوصفهما سياقاً صوتيّاً لتنزُّل القرآن الكريم، في بعض ظواهر الرَّسم العثماني؟

٢. هل يمكن أن تسهم البنيةُ الصَّوتيَّة لبعض ألفاظ القرآن الكريم في توجيه بعض ظواهر الرَّسم العثماني؟

٣. ما مدى نجاح ظواهر الرَّسم العثماني في تمثيل النَّسق الصَّوتي للأداء القرآني على النَّحو الذي تلقاه الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

٤. كيف استطاعَ الرَّسم العثماني تمثيلَ الصَّوائت الطَّويلة في النَّسق الصَّوتي للأداء القرآني؟

٥. هل تأثرتْ ظاهرةُ إبدال الألف واواً في الرَّسم العثماني بالأداء النُّطقي لبعض اللُّغات السَّاميَّة التي انفرعتْ مع العربية عن السَّاميَّة الأم؟

٦. هل عبَّرتْ ظواهرُ الرَّسم العثماني عن ضعف كَتبَةِ الوحي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في صناعة الخطِّ على نحو ما ذهب بعض الباحثين؟

٧. هل تُعدُّ المخالفةُ - الجزئيَّةُ - لهجاء بعض الكلمات في الرَّسم العثماني مظهراً من مظاهر فصاحة اللَّفظ القرآني؟

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى بيان أثر السِّياق الصَّوتي بأوسع معانيه في توجيه ظاهرة إبدال الألف واواً في الرَّسم العثماني، شاخصاً إلى تحقيق مجموعة من الأهداف، منها:

١. بيانُ أثر السِّياق اللَّهَجي لتنُّزل القرآن الكريم في ظاهرة إبدال الألف واواً في الرَّسم العثماني.

٢. بيانُ مدى تأثُّر الأداء النُّطقي للألفاظ التي أُبدلتْ فيها الألف واواً في الرَّسم العثماني بالسِّياق النُّطقي لنفس الألفاظ في بعض اللُّغات السَّاميَّة.

٣. الوقوفُ على أثر السِّياق الصَّوتي لبنية الكلمة في ظاهرة إبدال الألف واواً في رسم المصحف الشَّريف.

٤. بيانُ مدى نجاح ظواهر الرَّسم العثماني في تمثيل النَّسق الصَّوتي للأداء القرآني.

٥. بيان العلاقة بين ظاهرة إبدال الألف واواً في الرَّسم، وفصاحة اللَّفظ القرآني.

أهمية البحث:

تأتي أهمية هذا البحث من عدة جوانب، منها:

١. توجيه بعض ظواهر الرسم العثماني توجيهاً علميّاً بعيداً عن التأويلات الباطنيَّة، فضلاً عن الردِّ على مَن ذهبوا إلى تخطئة كَتَبَةِ الوحي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ في الهجاء.
٢. ربط بعض ظواهر الرَّسم العثماني بالسِّياق اللغوي لتنزُّل القرآن الكريم.
٣. النظر في مدى تأثُّر العربية بأخواتها السَّاميات على المستوى الصَّوتي.
٤. ربط البنية الصوتيَّة للكلمة القرآنيَّة ببعض ظواهر الرَّسم العثماني.
٥. ربط بعض ظواهر الرَّسم العثماني بالـدَّرس الصَّوتي الحديث.

منهجيَّة البحث:

اعتمد البحث على المنهج الوصفي التَّحليلي؛ حيث قام بوصف ظاهرة إبدال الألف واواً في الرَّسم العثماني، ومناقشة أقوال العلماء فيها، ثم قام بتحليل أثر السِّياقَيْن: الصَّوتي الخارجي، والصَّوتي الداخلي على طريقة الأداء النُّطقي للألفاظ التي فُخِّمَ الألف فيها، فأُبدِلَ واواً في الرَّسم العثماني.

الدِّراسات السَّابقة:

من الدراسات التي عرضت لقضية إبدال الألف واواً الدراسات الآتية:

١. **رسم المصحف - دراسة لغوية تاريخية**: غانم قدوري الحمد، اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري، العراق، الطبعة الأولى (١٤٠٢هـ-١٩٨٢م). تناول الحمدُ رسم الفتحة الطَّويلة واواً، فعرض لآراء الأوائل فيها، كما عرض لرأي الدراسات اللغوية المقارنة، ثم رجَّحَ أنَّ هذه الظاهرة تشير إلى نُطقٍ قديم احتفظت الكتابة بصورته.
٢. **رسم المصحف بين التوجيه اللغوي والتوجيه الدلالي**: غانم قدوري الحمد، مجلة العلوم الشرعية واللغة العربية، العدد الأول، السنة الأولى، جامعة الأمير سطام

ابن عبد العزيز، المملكة العربية السعودية، جمادي الآخرة (١٤٣٧هـ) إبريل (٢٠١٦م). تناولت الدراسة في المطلب الثاني «أصول التوجيه اللغوي للرسم» عللَ الحذف، والزيادة، والبدل، والهمز، والفصل، والوصل. فعرضتْ لتوجيه مَكي بن أبي طالب لظاهرة إبدال الألف واواً في لفظ «الصلاة»، حيث رأى أنَّ أصلَ الألف واو، فكتبتْ على الأصل، وقيل: كُتبت بالواو؛ لأنَّ بعض العرب يفخم اللام والألف، حتى تظهر الألف كأنَّ لفظها يشوبه شيءٌ من الواو. ولم يعرض قدوري الحمد في بحثه لأثر السِّياق الصوتي - بالمعنى الذي يعالجه هذا البحث - في توجيه ظواهر الرَّسم.

٣. **أثر اللهجات العربية في رسم المصحف الشريف**: رافد الخويبراوي، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، العراق، المجلد (٩) عدد (٣١) (٢٠١٥م). اعتنى الباحث في دراسته بالكشف عن أثر اللهجات العربية في رسم المصحف الشريف، فتناول في المبحث الثاني الظواهر اللهجية في رسم المصحف الشريف، وشملت: الإمالة، وظاهرة الهمز. وتوصَّل البحث إلى أن الرسم القرآني جاء موافقاً للهجات العربيَّة، ولم يعرض لأثر البنية الصوتية للكلمة القرآنية في الرَّسم.

٤. **العِللُ الصَّوتية لرسم المصحف في كتاب «الطراز» للتَّنَسي، باب الحذف نموذجاً**: نور نايف أحمد الزواهرة، رسالة ماجستير، الجامعة الهاشمية، الأردن (٢٠١٦م). عرضتِ الباحثةُ لحذف الحركات الطَّويلة، إلَّا أنَّها لم تتناول دور السِّياق الصَّوتي في ظاهرة إبدال الألف واواً، وإنمَّا اكتفتْ في هذا الصدد بقولها: إنَّ الإبدال من سنن العرب، وأنَّه يعبر عن التَّطور التَّاريخي الذي تعرضتْ له الكلمات التي حدثَ فيها الإبدال، دون أن تعرض لأثر التطور التاريخي للعربية في ظواهر الرسم العثماني.

٥. **ظواهرُ الرَّسم القرآني، ظاهرة الإبدال نموذجاً**: ياسر حسين مجباس العزاوي، مجلة الآداب، عدد (١٠٩) (٢٠١٤م). تناول الباحث نَوْعَي الإبدال المحض وغير المحض، ثم تناول المقتضى التَّعبيري للإبدال في الرَّسم، دون أن يعرضَ لأثر السِّياق الصَّوتي في ظاهرة الإبدال في الرَّسم العثماني.

وهكذا نلاحظ اختلاف هذا البحث «**أثرُ السِّياق الصَّوتي في توجيه بعض ظواهر الرَّسم العثماني، إبدالُ «الألف» «واواً» نموذجاً**» عن الدراسات السابقة في الإشكالية التي ينطلق منها، وفي أهدافه، وتناوله.

خطة البحث:

جاء البحث في مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وثبت للمصادر والمراجع على النَّحو الآتي:

المقدمة: تناولتْ إشكالية البحث، وأسئلته، وأهدافه، وأهميته، والدِّراسات السَّابقة.

قُسِّمَ البحث إلى ثلاثة مباحث على النَّحو الآتي:

المبحث الأول: مقدماتٌ تأسيسيَّة: وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم الرَّسم العثماني.

المطلب الثَّاني: ظواهر الرَّسم العثماني، ومذاهب العلماء في توجيهها.

المطلب الثَّالث: مفهوم السِّياق الصَّوتي للنَّظْم القرآني.

المطلب الرَّابع: ظاهرةُ الإبدال في الرَّسم العثماني.

المبحث الثَّاني: أثرُ السِّياق الصَّوتي الخارجي في إبدال الألف واواً في الرّسم العثماني: وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أثرُ السِّياق اللَّهَجي في إبدال الألف واواً.

المطلب الثَّاني: أثرُ اللُّغوي التَّاريخي في إبدال الألف واواً.

المبحث الثالث: أثرُ السِّياق الصوتي الداخلي في إبدال الألف واواً في الرّسم العثماني.

الخاتمة: تضمَّنتْ أهم نتائج وتوصيات البحث.

قائمة المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.

المبحث الأول
مقدماتٌ تأسيسيَّة

سوف نعرض في هذا المبحث لبعض المقدمات التَّأسيسيَّة المتعلقة بتحرير أهم مصطلحات، وقضايا البحث؛ لتكون مدخلًا تأسيسيّاً لما سوف نتناوله في المبحثَيْن التاليَيْن.

المطلب الأول: مفهوم الرَّسم العثماني:

تداولتْ كتب القراءات، والرَّسم عدَّةَ مصطلحاتٍ للدلالة على كتابة المصحف الشَّريف، أهمها: «الخطُّ، والهجاءُ، والرَّسم»، شاعَ منها مصطلحُ «الرَّسم» بداية من القرن الخامس الهجري[1] على نحو ما نجده في كُتب أبي عمرو الدَّاني (ت: ٤٤٤هـ)[2] وكُتب مَن أتوا بعده من علماء القراءات، والرَّسم. ويُعدُّ كتاب «مختصر التَّبيين لهجاء التَّنزيل»[3] لأبي داود سليمان بن نجاح (ت: ٤٩٦هـ) من أكثر الكتب التي شاعَ فيها استخدام مصطلح «الرَّسم» بشكلٍ لافتٍ؛ للدلالة على كيفيَّة كتابة الكلمات في المصحف الشَّريف، وفقاً لخطِّ المصاحف العثمانيَّة التي كُتبتْ زمنَ الخليفة عثمان بن عفَّان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والرَّسم «=الخطُّ»: قياسيٌّ، واصطلاحيٌّ؛ **فالقياسيُّ**: ما طَابقَ فيه الخطُّ اللَّفظَ.

والاصطلاحيُّ: ما خَالفَ فيه الخطُّ اللَّفظَ بزيادةٍ، أو حذفٍ، أو بدلٍ، أو فَصْلٍ أو وَصْلٍ... إلخ. وأغلبُ خطِّ المصحف موافقٌ لأصول وقوانين الرَّسم القياسي، إلَّا أنَّه وردتْ فيه أشياءُ خارجةٌ عن ذلك يلزم اتباعها؛ منها ما عُرِفَتْ علتُه، ومنها ما خَفيتْ...[4]. وهو ما يعني أنَّ

(١) ظهر مصطلح «الرَّسم» في القرن الرابع الهجري على نحو ما وردَ في كتاب «حُجَّة القراءات» لأبي زرعة. راجع: حجَّة القراءات (ص١٢٧).

(٢) راجع: التَّيسير في القراءات السبع (ص٣٨٢)، المقنع في رسم مصاحف الأمصار (ص٢٣، ٢٥، ٣١)، المحكم في نقط المصاحف (ص٢١، ٤٣، ٥٥). ذكر الدكتور غانم قدوري الحمد كتاباً لأبي عمرو الداني بعنوان «علل هجاء المصاحف»، ويرجح أنه مفقود. راجع: رسم المصحف بين التوجيه اللغوي والتوجيه الدلالي، غانم قدوري الحمد (ص٢٨).

(٣) راجع: مختصر التَّبيين لهجاء التَّنزيل (٢/٥٥، ٦٦، ١٤١، ٢٠٦، ٢٣٥، ٢٦٢، ٢٦٨، ٢٧٠، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٣٠٣، ٣٢٢، ٣٣٢، ٣٦٩، ٣٧٠، ٤١٧، ٣/٤٧٣، ٤٨٥، ٤٩٦، ٥٠٣، ٥١٥، ٥٥٧، ٥٦٠...) إلخ.

(٤) شرح طيبة النَّشر في القراءات العشر، محمد بن محمد أبو القاسم محب الدين النويري (ص١٤٣).

رسم المصحف غير مطردٍ هجاؤه، ومع ذلك أجمع العلماء على لزوم اتباعه؛ زيادةً، وحذفاً، وبَدلًا، وفَصْلًا، ووَصْلًا، حتَّى عدُّوا القراءة التي تخالفُه شاذةً لا يُعتدُّ بها. قال النَّاظم:

وَقِـفْ لِـكُلٍّ بِاتِّبَـاعِ مَـا رُسِـمْ حَذْفاً، ثُبُوتاً، اتِصَالاً فِي الْكَلِمْ(١)

وتؤكد ظواهر الرَّسم العثماني أنَّ الاختلاف بين الخطَّيْن؛ الاصطلاحي، والقياسي، هو اختلاف تغاير، وتنوع، لا اختلاف تضاد، فلا يلزم من صحّة أحدهما بطلان الآخر؛ لخصوصية القواعد التي انبنى عليها كلٌّ منهما(٢).

هذا، وقد رسَمَ كتَبَةُ الوحي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - وهم من فضلاء الصَّحابة، عِلماً، وتثبُّتاً، وعقلاً، وأمانةً، وورعاً - هجاءَ المصحف الشَّريف على النَّحو المعروف في زمانهم؛ وبالكيفيَّة التي تُحاكي الأداءَ الذي أقرأَهم به رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(٣)؛ ولذلك ليس من الصَّواب أنْ نفسِّرَ ظواهر الرَّسم العثماني تفسيراً وظيفيّاً على نحو ما فعلَ ابن البنَّاء المراكشي (ت: ٧٢١هـ) في كتابه «عنوان الدَّليل في مرسوم خط التَّنزيل» الذي راحَ يفسِّرُ فيه ظواهرَ الرَّسم تفسيراً صوفيّاً، باطنيّاً، ذاتيّاً!(٤).

المطلب الثَّاني: ظواهر الرَّسم العثماني، ومذاهب العلماء في توجيهها:

يُقصدُ بظواهر الرَّسم العثماني؛ تلك الظَّواهر اللُّغويَّة التي لحقتْ بهجاء بعض كلمات المصحف الشَّريف من «حذفٍ، وزيادةٍ، وإبدالٍ، وفَصْلٍ ووَصْلٍ»(٥)، فخالف فيها الرَّسمُ اللَّفظَ، نحو:

---

(١) طيبة النَّشر في القراءات العشر، ابن الجزري (ص١٤٣).

(٢) راجع: مقدمة تحقيق مختصر التَّبيين لهجاء التَّنزيل (١/١٣٤).

(٣) راجع: في فلسفة الأداء الصَّوتي في القرآن الكريم للمتعلمين (ص٧).

(٤) كأنْ يجْعَلَ لكلِّ ظاهرةٍ من ظواهر رسم المصحف وظيفةً تؤديها وتدل عليها، على نحو ما علَّلَ به ابن البنَّاء زيادةَ رسم الألف بعد الواو في «ادعوا» من قوله تعالى: ﴿قَالُواْ فَٱدۡعُواْ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ﴾ [غافر: ٥٠]، بأنَّها «تنبيهٌ على ظهور دعائهم باللِّسان، لا بالقلب!». راجع: عنوان الدلِّيل في مرسوم خط التَّنزيل (ص٣٣، ٤٣).

(٥) يرى بعض المحدثين أنَّ ظواهر الرَّسم ستَّ ظواهر، هي: «الحذف، والزيادة، والإبدال، والفصل والوصل، والهمزة، وما رُسِمَ بقراءة واحتمل قراءتين»، والأرجحُ أنَّها أربعُ ظواهر على نحو ما وردَ عند أئمة القراءات، والرسم، هي ما أثبتناه هنا. راجع: مختصر التَّبيين لهجاء التَّنزيل (١/١٣٥).

١. **حذف الألف** من «رسم» كلمة ﴿مَٰلِكِ﴾، في قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]، وحذفها من كلمة ﴿خَٰشِعَةً﴾ في قوله تعالى: ﴿وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ﴾ [يوسف: ٣١]، وحذفها من: ﴿بَنَيۡنَٰهَا﴾ [الذاريات: ٤٧]، و﴿فَرَشۡنَٰهَا﴾ [الذاريات: ٤٨].

٢. **زيادة الياء** في ﴿بِأَيۡيْدٍ﴾ من قوله: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧].

٣. **إبدال «الألف» «واواً»** في لفظي: ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾ و﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾ من قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣].

٤. **وَصْل** «إنَّ» المؤكِّدة بـ«ما» في كلمة ﴿إِنَّمَا﴾ من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ﴾ [البقرة: ١١].

أو **فَصْل** لام الجرِّ عن الاسم الذي دخلتْ عليه، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ﴾ [الفرقان: ٧]، فقد وقعت «اللام» في المصحف مفصولة عن ﴿هَٰذَا﴾... وهكذا[١].

وخلاصة الأمر: أنَّ ظواهر الرَّسم العثماني: هي تلك الرموزُ الكتابيَّة التي خَالَفَ الرَّسمُ فيها اللَّفظَ، فعمدَ العلماء إلى تتبعها، وتعدادها، وتصنيفها، ومناقشة حكم الالتزام بها، ومحاولة التقعيد لها، والبحث عن توجيهاتها، وأسبابها...[٢].

مذهب العلماء في توجيه ظواهر الرَّسم العثماني:

ظهرتْ عناية اللغويين، والمفسرين، وعلماء الرَّسم بتوجيه ظواهر الرَّسم العثماني منذ القرن الثاني الهجري، حيث ضمَّتْ مؤلفاتهم بعض التوجيهات الدالة على انشغالهم بظواهر الرَّسم في المصحف الشريف على نحو ما نجد عند الفرَّاء (ت: ٢٠٧هـ) في كتابه «معاني القرآن».

وقد بلغت العناية بتوجيه ظواهر الرَّسم ذروتها في القرن الخامس الهجري، وما بعده على نحو ما سنعرض له بعد قليل.

(١) راجع: الإقناع في القراءات السبع (ص٣٤٤)، وراجع: النَّشر في القراءات العشر (١٥٠/٢).

(٢) راجع: توجيه ظواهر الرَّسم العثماني عند ابن البناء المراكشي من خلال كتابه عنوان الدليل من مرسوم خط، دراسة تحليلية نقدية، فتحي بودفلة (ص٣٤).

وقد ذهبَ العلماء غيرَ مذهبٍ في توجيه، وتوجيه ظواهر الرَّسم العثماني على النحو الآتي:

١. **الفريق الأول**: رَدَّ بعضَ ظواهر الرَّسم العثماني إلى خطأ الكُتَّاب في الهجاء(١). وهو ما ذهبَ إليه الفرَّاء (ت: ٢٠٧هـ)(٢)، وابن قتيبة (ت: ٢٧٦هـ)(٣)، وابن خلدون (ت: ٨٠٨هـ)(٤)،... وغيرهم. يقول الفرَّاء في توجيه حذف الياء من كلمة ﴿تُغْنِ﴾، وإثباتها في نفس الكلمة في موضع آخر ﴿تُغْنِي﴾: «أنَّهم لا يكادون يستمرون في الكتاب على جهةٍ واحدةٍ، ألا ترى أنَّهم كتبوا: ﴿فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾ [القمر: ٥] بغير ياء، و﴿وَمَا تُغْنِي ٱلْآيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ﴾ [يونس: ١٠١]، بالياء، وهو من سوء هجاء الأوّلين!»(٥).

ويبدو أنَّ أصحاب هذا الرَّأي خلطوا بين الصَّوت والرَّسم الهجائي، حينما قاسُوا ظواهرَ الرَّسم الاصطلاحي على قواعد الرَّسم القياسي! وهو قياسٌ غير جائز؛ لأنَّ قواعد الرَّسم القياسي وُضِعتْ في وقتٍ لاحقٍ على كتابة المصحف الشّريف(٦)، ومن ثَم لا يصحُّ قياسُ السَّابق على اللاحق! فضلاً عن إغفالهم طبيعة الواقع التَّاريخي للهجاء العربي «= التّمثيل الخطّي للأصوات» وقت كتابة المصحف الإمام(٧)،

(١) يقول صاحب «الكناش في فني النحو والصرف»: «واعلم أنّه كتبتِ الصلوة، والزكوة، والحيوة، بالواو في خطّ المصحف، وهو على خلاف الأصل!». راجع: الكناش في فني النحو والصرف (٣٦١/٢).

(٢) راجع: معاني القرآن (٤٣٩/١).

(٣) راجع: تأويل مشكل القرآن (ص٤٢).

(٤) راجع: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر (٥٢٦/١).

(٥) معاني القرآن (٤٣٩/١). رَدَّ العلماءُ المحققون الآثارَ الواردة عن وقوع اللَّحن، والخطأ في كتابة المصحف الشرَّيف، فمنها الحديث المروي عن عبد الله بن عامر القرشي، قال: لما فُرِغَ من المصحف أُوتي به عثمان، فنظر فيه، فقال: «قد أحسنتم، وأجملتم، أرى فيه شيئاً من لحنٍ ستُقيمه العرب بألسنتها». ففسَّرَ قومٌ «اللَّحن» بمعنى «الخطأ»، وإنَّما هو بمعنى «اللُّغة». قال أبو بكر بن أبي داود: هذا عندي يعني «بلغتها»، وإلَّا لو كان فيه لحنٌ لا يجوز في كلام العرب جميعاً لما استجازَ أن يبعثَ به إلى قوم يقرؤونه». راجع: كتاب المصاحف (ص١٢٠)، المقنع في رسم مصاحف الأمصار (ص١١٩)، الإتقان في علوم القرآن (٣٢٤/٢).

(٦) راجع: مختصر التبيين لهجاء التنزيل (١٣٣/١).

(٧) تداولَ الهجاءُ العربي آنذاك مجموعةً من الظَّواهر الهجائيَّة التي تواضعَ العربُ عليها، مثلما تواضعوا - فيما بعد - على الكتابة من غير إعجام، ولا تشكيل.

وكذلك إغفال السَّياق الصَّوتي اللَّهجي الذي ظهرتْ بصماتُه في بعض ظواهر الرَّسم؛ كالإمالة، والتَّفخيم...، «فليستْ تخلو هذه الحروف من أن تكون على مَذهبٍ من مذاهب أهل الأعراب فيها»(١)، وإلَّا لما توافقتْ على رسمها المصاحفُ العثمانيَّة؛ ولما تواترتْ القراءةُ بها(٢)، حتَّى «تركوا سائرَ القراءات التي تخالف الكتابَ، ولم يلتفتوا إلى مذاهبِ العربيَّة فيها إذا خالفَ ذلك خطَّ المصحف»(٣). وهذا مِمَّا «تقومُ به الحجّةُ على أنَّ القرآنَ مُنَزَّلٌ على وجهِ موافقةِ المصحف»(٤). كما يدلُّ على أنَّ مَن فسَّرَ ظواهر الرَّسم على أنَّها «من سوء هجاء الأولين» لم يستحضرْ لهجةَ أهلِ الحجاز التي شاعَ فيها إبدالُ الألف واواً على الأصل؛ استجابةً للتَّفخيم، بوصفها ظاهرةً صوتيَّة فاشية في حَرْفِهم «= لهجتهم» الذي نزلَ القرآن به، ومن ثَم جاء رسمُ هذه الكلمات مُعبِّراً عن نُطقهم لها على التَّفخيم، لا سيما أنها كانت اللهجة المركزية في إقليم الحجاز(٥).

وقد أحسنَ غانم قدوري الحمد في قوله: «لا ينبغي للنَّاظر في الرَّسم العثماني إلَّا أنْ يستبعدَ فكرةَ الخطأ، وهو يحاول أن يجدَ التَّفسيرَ الصَّحيح لظواهر الهجاء الواردة فيه، وأن يتوقفَ عن القول فيما لم يتوفَّرْ لديه فيه ما يرجِّحُ به رأياً، أو يقدمَ تفسيراً؛ لأنَّ جانباً كبيراً من تاريخ الكتابة العربية في تلك الفترة المتقدمة لا يزال غير معروف، ويظلُّ الرَّسم العثماني بكلِّ ما يُقدِّمُ من أمثلةٍ وصورٍ لرسم الكلمات خير مُمثِّلٍ لواقع الكتابة العربية في تلك الحقبة»(٦).

---

(١) تأويل مشكل القرآن (ص٤١).

(٢) راجع: المصدر السابق (ص٤٢)، وراجع: كتاب السبعة في القراءات (ص٤١٩).

(٣) فضائل القرآن للقاسم بن سلام (ص٣٦١).

(٤) الانتصار للقرآن (٥٥٠/٢).

(٥) راجع:
Studies in Semitic Languages and Linguistics, Editorial Board: Aaron D. Rubin and Ahmad Al-Jallad, volume 106, Brill, Leiden-Boston, 2022, p.182, 185, 260.

(٦) رسم المصحف، دراسة لغوية تاريخية (ص٢٢٣، ٢٤٢).

٢. **الفريق الثاني**: نظر بعض العلماء إلى ظواهر الرَّسم في المصحف الشريف بوصفها ظواهر توقيفيَّة، لا تُدرَكُ أسرارها إلَّا بفتحٍ ربَّاني![١]. ويبدو أنَّ أصحاب هذا الرَّأي قد اكتفوا بعلَّةِ التَّوقيف دون البحث عن توجيهات أخرى تفسر ظواهر الرَّسم! ولهم حُجَّةٌ فيما ذهبوا إليه، فقد أقرَّ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الكَتَبَةَ على رسمه، فكأنَّه من قبيل السُّنة التقريرية. فقد ذَكر ابن أبي داود (ت: ٣١٦هـ) في «كتاب المصاحف»: «وأملى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يذكرون حرفاً بحرف، فإذا فيه: كَانَ «ك و ن»، وحتَّى «ح ت ا»، مثل ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾ بواو، و﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾ بواو، و﴿ٱلْحَيَوٰةَ﴾ بواو»[٢].

٣. **الفريق الثَّالث**: ذهبَ إلى أنَّها ذات معانٍ باطنيَّة تتعلَّقُ بمراتب الوجود، والمقامات على نحو ما فعل ابن البنَّاء المراكشي (ت: ٧٢١هـ) في كتابه «عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل»[٣]، يقول في تفسير ظاهرة إبدال «الألف» «واواً» في الرَّسم: «وظهور «الواو» في الخطِّ يدل على أنَّ معاني هذه الحروف ظاهرةٌ في الإدراك من جهة اعتبار المُلْك!»[٤]. وهو توجيه يُحيل الإشكالَ إلى إبهامٍ؛ لأنَّه ردَّ ظواهر الرسم إلى أمورٍ باطنيَّةٍ مبنيَّةٍ على استبطانٍ صوفيٍ مُشْكِلٍ، لا علاقة له بالتوجيه اللُّغوي لعلل الرَّسم.

٤. **الفريق الرابع**: أصحاب التوَّجيه اللُّغوي الذين يتقدمُّهم مكي بن أبي طالب القيسي (ت: ٤٣٧هـ) بكتابه «الهداية إلى بلوغ النهاية»، الذي اعتمد في توجيهه لإبدال الألف واواً في لفظ ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾ على البنية الصرفيَّة للكلمة، يقول: «وكُتِبَت ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾ في المصاحف بالواو؛ لتدلَ على أصلها؛ لأنَّ أصل الألف الواو، وأصلها «صَلَوة». فلمَّا تحركتِ الواو، وانفتحَ ما قبلها، قُلِبَتْ في اللفظ ألفاً؛ دليلُه قولهم في الجمع: «صَلَواتٌ». وقد ذكرنا أنَّ الجمعَ يردُّ الأشياءَ إلى أصولها؛ ولذلك قلنا: إنَّ

(١) راجع: كتاب المصاحف، أبو بكر بن أبي داود (ص٢٥٩).
(٢) راجع: مناهل العرفان في علوم القرآن (٣٨٣/١).
(٣) راجع: عنوان الدليل في مرسوم خط التَّنزيل (ص٣٣) وما بعدها.
(٤) المصدر السابق (ص٨١). ويقول في حذف بعض الحروف في رسم المصحف: «فإذا بَطنتْ حروفٌ في الخطِّ، ولم تُكتب، فلمعنًى باطنٍ في الوجود عن الإدراك...». راجع: عنوان الدليل في مرسوم خط التَّنزيل (ص٣٤).

أصل «ماء»، «مَوْهٌ»، وإن الألف بدل من الواو...، وقيل: إنَّما كُتبتْ بالواو؛ لأنَّ بعض العرب يُفخِّم اللام والألف حتَّى تظهرَ الألفُ كأن لفظها يشوبه شيءٌ من الواو»[1].

كما ذهبَ أبو عمرو الدَّاني (ت: ٤٤٤هـ) في «المقنع في رسم مصاحف الأمصار»، وفي «المحكم في نقط المصاحف»[2] إلى التَّوجيه اللُّغوي لظواهر الرَّسم، وتابعه فيه جماعة من العلماء منهم: ابن جني (ت: ٣٩٢هـ) في «سر صناعة الإعراب»[3]، والزَّركشي (ت: ٧٩٤هـ) في «البرهان»[4]، والسُّيوطي (ت: ٩١١هـ) في «الإتقان»[5].

المطلب الثَّالث: مفهوم السِّياق الصَّوتي للنَّظْم القرآني:

إذا كان السِّياق هو حصيلة استعمال الكلمة داخل نظام الجملة في علاقاتها الصَّوتيَّة، والصَّرفيَّة، والنَّحويَّة، والدلاليَّة مع الكلمات، والجمل السَّابقة عليها، واللاحقة بها في التركيب، أو النَّص[6]، مع الأخذ في الاعتبار ملابسات التَّلقي، فإنَّنا **نقصد بالسِّياق الصَّوتي هنا**: تأثُّر الصَّوت - داخل بنية الكلمة - بمجموعة الأصوات المحيطة به؛ السَّابقة عليه، واللاحقة به، فضلاً عن تأثيره بالفضاء اللُّغوي الذي تمثله بعض اللَّهجات، أو بعض اللُّغات الأخرى. وينقسم السِّياق الصَّوتي للنَّظْم القرآني إلى قسمين:

١. **السِّياق الصَّوتي الخارجي**: نقصد به تأثُّر إنتاج الأصوات اللُّغويَّة في فضائها اللُّغوي بالخصائص الصَّوتيَّة لبعض اللَّهجات العربية، وبطُرق الأداء الصَّوتي في بعض اللُّغات السَّاميَّة المجاورة للعربية عبر رحلة تطورها.

٢. **السِّياق الصَّوتي الدَّاخلي**: نقصد به تأثير الأصوات بعضها في بعض داخل النَّظْم اللَّفظي، أو قل داخل البنية الصوتيَّة للكلمة، من حيث التَّرقيقُ، والتَّفخيم، والإمالة... إلخ.

---

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه، مكي بن أبي طالب القيسي (١٣٣/١).

(٢) راجع: المحكم في نقط المصاحف (ص١٨٩).

(٣) راجع: سر صناعة الإعراب (٦٤/١، ٢٣٠/٢).

(٤) راجع: البرهان في علوم القرآن (٤٠٩/١).

(٥) راجع: الإتقان في علوم القرآن (١٧٧/٤).

(٦) راجع: نظرية السياق بين القدماء والمحدثين دراسة لغوية نحوية دلالية (ص٣٣). وراجع: دور الكلمة في اللُّغة (ص٥٥).

ولا تنفصلُ - ولا ينبغي لها أن تنفصل - دراسةُ الخصائص الصَّوتيَّة لظواهر الرَّسم العثماني عن النَّظر في هذين السِّياقَيْن؛ لأنَّه يُعوَّل عليهما في توجيه كثير من ظواهره.

المطلب الرَّابع: ظاهرة الإبدال في الرَّسم العثماني:

الإبدال لغةً: العِوَضُ، وأبدلَ الشَّيءَ من الشَّيءِ وبدله: اتخذه منه بدلاً ...، والأصلُ في الإبدال جعل شيء مكان شيء آخر؛ كإبدالك من الواو تاءً في تالله[1].

الإبدال اصطلاحاً: إقامةُ حرفٍ مكان حرفٍ، وهو من سنن العرب في كلامها؛ حيث تُبدلُ الحروفَ، وتقيمُ بعضَها مقام بعض[2].

أقسام الإبدال في الرَّسم العثماني:

ينقسم الإبدال في رسم المصحف الشَّريف إلى خمسة أقسام، هي:

١. إبدال نون التَّوكيد إلى تنوين النَّصب:

فقد وَرَدَ في رسم المصحف إبدالُ «نون التوكيد الخفيفة» «ألفاً» في موضعين[3]؛ لتدل على التَّنوين، في كلمة ﴿وَلَيَكُونًا﴾ من قوله تعالى: ﴿لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ [يوسف: ٣٢]، وفي كلمة ﴿لَنَسْفَعًا﴾ من قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾ [العلق: ١٥].

٢. إبدال الياء ألفاً:

وردَ في الرَّسم العثماني إبدالُ «الألف الممدودة» التي هي على صورة الألف «بالألف المقصورة» في بعض الكلمات على مُراد الإمالة، وتغليب الأصل[4]، كما في كلمة ﴿ٱلْأَقْصَا﴾ من قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١].

---

(١) راجع: لسان العرب (٤٨/١١).
(٢) راجع: الصاحبي في فقه اللُّغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها (ص١٥٤).
(٣) راجع: المقنع في رسم مصاحف الأمصار (ص٥٠).
(٤) راجع: المصدر السابق (ص٦٨).

٣. إبدال التَّاء المربوطة تاءً مفتوحة:

وَرَدَ في رسم المصحف إبدال «التَّاء المربوطة» «تاءً مفتوحة» في خمس عشرة كلمة[١]؛ منها كلمة ﴿رَحْمَتَ﴾ في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٨]، و﴿نِعْمَتَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣١].

٤. إبدال السِّين صاداً:

وردَ إبدالُ «السِّين» «صاداً» في الرَّسم العثماني[٢]، كما في كلمة ﴿وَيَبْصُۜطُ﴾ من قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ﴾ [البقرة: ٢٤٥].

٥. إبدال الألف واواً:

وَرَدَ إبدال «الألف» «واواً» في رسم المصحف الشَّريف في ثماني كلمات، هي: ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾ ﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾ ﴿ٱلْحَيَوٰةِ﴾ ﴿ٱلرِّبَوٰاْ﴾ ﴿بِٱلْغَدَوٰةِ﴾ ﴿كَمِشْكَوٰةٍ﴾ ﴿ٱلنَّجَوٰةِ﴾ ﴿وَمَنَوٰةَ﴾ هذه الكلمات هي موضع دراستنا في هذا البحث.

(١) راجع: المصدر السابق (ص٨٠).
(٢) راجع: الحجة للقراء السبعة، أبو علي الفارسي (٤٠١/٧).

المبحث الثَّاني
أثرُ السِّياق الصَّوتي الخارجي
في إبدال الألف واواً في الرَّسم العثماني

يطرح هذا المبحث عدَّةَ أسئلة تتعلَّق بدور السِّياق اللُّغوي الخارجي في تفسير بعض ظواهر الرَّسم العثماني، منها: هل أثَّرَتِ اللَّهجات العربيَّة في بعض ظواهر الرَّسم العثماني؟ وهل يمكن الاعتداد بالسِّياق اللُّغوي التَّاريخي في توجيه بعض ظواهر الرَّسم؟ وهل يمكن أن يُقدِّمَ السِّياقُ الصَّوتي لبعض الحروف السَّاكنة «الصَّوامتِ» تفسيراً لظاهرة بإبدال «الألف» «واواً» في رسم المصحف الشَّريف؟

سوف نُعنَى في الإجابة عن هذه الأسئلة بوصف السِّياق الصَّوتي الخارجي للكلمات التي أُبدِلتْ فيها «الألف» «واواً» في رسم المصحف الإمام، وهي: ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾ ﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾ ﴿ٱلْحَيَوٰةِ﴾ ﴿ٱلرِّبَوٰاْ﴾ ﴿بِٱلْغَدَوٰةِ﴾ ﴿كَمِشْكَوٰةٍ﴾ ﴿ٱلنَّجَوٰةِ﴾ ﴿وَمَنَوٰةَ﴾، ونقصد بالسِّياق الصَّوتي الخارجي - هنا - السِّياق اللَّهَجي الذي تنزَّلَ القرآن الكريم فيه، بالإضافة إلى السِّياق اللُّغوي التَّاريخي الذي يكشف عن تطور العربية، وعلاقتها بأخواتها السَّاميات، ثم نقوم ببيان دور هذين السِّياقَيْن «اللَّهجي، واللُّغوي التَّاريخي» في بعض ظواهر رسم المصحف الشَّريف.

المطلب الأول: أثرُ السِّياق اللَّهَجي في إبدال الألف واواً:

السِّياقُ اللَّهَجي جزءٌ من السِّياق اللُّغوي الخارجي، ونقصد به الخصائص اللَّهَجيَّة للبيئة اللُّغويَّة التي تنزَّلَ القرآن الكريم فيها، وكُتِبَ فيها المصحف الشَّريف، وهي بيئة الحجاز الحضارية التي ضمَّتْ مكَّة والمدينة، وانفردتْ بعدَّة خصائص لهجيَّة على المستويَيْن الصَّوتي والدلالي ميزتها عن غيرها من البيئات اللُّغويَّة الأخرى في شبه الجزيرة العربيَّة[1].

(١) من الفوارق اللهجية على سبيل المثال بين لهجة قريش التي تمثل بيئة الحجاز اللغوية، وبين لهجة تميم التي تمثل بيئة النجدية اللغوية، أنَّ التَّميميين ينطقون «التاء» «طاءً»، و«التاء» «دالاً». راجع: المخصص، ابن سيدة (٢٧٠/١٣).

عبَّرتْ ظواهر الرَّسم العثماني عن كثيرٍ من جوانب الواقع الصَّوتي للغة العربيَّة وقت نزول القرآن الكريم(١)، كما عكستْ مرحلة تاريخيَّة مهمة من تاريخ الهجاء العربي، ظلَّ الرَّسم العثماني محتفظاً فيها ببعض ملامح واقعه اللُّغوي الصَّوتي، والهجائي، والتركيبي؛ ومع ذلك لا تزال بعضُ ظواهره الهجائيَّة مُشْكِلَةً علينا، وهذا أمرٌ يجبُ أن نجعله على ذُكْرٍ منَّا ونحن نحاول الوصول إلى توجيه لغويٍّ لطريقة رسم بعضِ الصَّوائت «= حروف المد الثلاثة» في سياقها الصَّوتي داخل البنية الصوتيَّة للكلمة، التي مثَّلتْ ظواهرَ هجائيَّة في الرَّسم العثماني؛ لأنَّه قد يرجع بعضُها إلى نمط الهجاء السَّائد قبل كتابة المصحف الشَّريف، وهو ما يعني أنَّها لم تمثلْ بالنسبة لهجاء عصرها عِلَلاً على الأرجح! وهو أمرٌ ربَّما تؤكده الاكتشافات المستقبلية لبعض النقوش والمخطوطات التي ترجع إلى الفترة التي كتبَ فيها بعض الصحابة القرآن عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومع ذلك لا نشك في وجود علاقة وطيدة بين طريقة الهجاء العربي - وقت كتابة المصحف الإمام - ولهجات القبائل العربية التي نزل القرآن الكريم بها، وهي لهجاتٌ شهد القرآن بفصاحتها في غير موضعٍ منه، قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣]. وهو ما يعني أنَّ ارتباط بعض ظواهر الرَّسم العثماني بالاختلافات اللَّهجيَّة للقبائل العربية أمرٌ بديهيّ؛ فالقراءةُ «بالإمالة» على سبيل المثال، موافِقةٌ للغةِ «= لهجة» هوازن، وبكر بن وائل، وسعد بن بكر، والقراءةُ «بالتَّفخيم» موافِقةٌ للغةِ أهل الحجاز، ومَنْ جاورهم(٢).

ومن الملاحَظ - في هذا الصَّدد - خضوع بعض الظَّواهر اللَّهجيَّة في البيئة العربية للاستحسان، وخضوع بعضها الآخر للاستهجان؛ وذلك بالنَّظر إلى حروف اللُّغة نفسها(٣)؛ ولذلك صحَّتْ القراءةُ بإبدال «الألف» «واواً»، وإثباتُها في رسم المصحف

(١) راجع: علم اللُّغة العربية (ص١٠، ١١).

(٢) راجع: الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها (ص٣١٠، ٣١٢)، وراجع: في اللَّهجات العربيةَّ (ص٥٣).

(٣) من الحروف المستحسنة التي يُؤخَذُ بها في قراءة القرآن: «النون الخفيفة، ويقال: الخفية، والهمزة المخفية، وألف التَّفخيم، وألف الإمالة، والشِّين التي كالجيم، والصَّاد التي كالزَّاي». وقد تلحقها ثمانيةُ أحرف، هي فروعٌ غير =

في هذه الكلمات: ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾ ﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾ ﴿ٱلْحَيَوٰةِ﴾ ﴿ٱلرِّبَوٰاْ﴾ ﴿بِٱلْغَدَوٰةِ﴾ ﴿كَمِشْكَوٰةٍ﴾ ﴿ٱلنَّجَوٰةِ﴾ ﴿وَمَنَوٰةَ﴾؛ لكونها من الحروف المُستَحسَنة التي تمثِّلُ ضرباً من الاتساع، والتَّصرف الصَّوتي للعربيَّة[1]، فلا تعدو القراءةُ بها أن تكون على مَذهبٍ مِن مَذاهب أهل الأعراب فيها؛ فهي لهجةٌ نزل القرآن بها[2]؛ تيسيراً لتلاوة العرب له، وفقَ ما درجتْ عليه ألسنتُها في نواحي الأصوات، والاشتقاق، وطُرق الأداء[3].

وقد لفتَ أبو عمرو الدّاني (ت: ٤٤٤هـ) في «المحكم في نقط المصاحف» إلى هذه الظَّاهرة الهجائيَّة - الموافِقة للهجات المستحسَنة - في رسم المصحف بقوله: «ورُسِمَ في كلِّ المصاحف ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾ ﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾ ﴿ٱلْحَيَوٰةِ﴾ ﴿ٱلرِّبَوٰاْ﴾ ﴿بِٱلْغَدَوٰةِ﴾ ﴿كَمِشْكَوٰةٍ﴾ ﴿ٱلنَّجَوٰةِ﴾ ﴿وَمَنَوٰةَ﴾ (بالواو) على الأصل، أو على لغة أهلِ الحجاز الذين يُفرِطون في تفخيم «الألف» وما قبلهَا في ذلك، فإذا نُقِطَ ذلك جُعِلَ على «الواو» «ألفٌ بالحمراء»؛ ليدلَّ على استقرارها في اللَّفْظ دون الواو»[4]، وكأنَّهم جعلوا «الواو» مُؤذِنةً في الرَّسم بتفخيم اللَّفظ بها[5]. وهو ما يدلُّ أنَّه نُحِي بـ«الألف» نحو «الواو» على جهة التَّفخيم الذي يعني من النَّاحية الصَّوتية ارتفاع مؤخر اللِّسان نحو أقصى الحنك الأعلى[6]؛

= مُستَحسَنة، ولا يُؤخَذُ بها في القرآن، ولا في الشِّعر، هي: «الكاف التي بين الجيم والكاف، والجيم التي كالكاف، والجيم التي كالشِّين، والضَّاد الضَّعيفة، والصَّاد التي كالسِّين، والطَّاء التي كالتَّاء، والظَّاء التي كالثَّاء، والباء التي كالميم». راجع: الكتاب (٤/٤٣٢)، وراجع: الخصائص (١/٥٩).

(١) راجع: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها (٢/٣٦).

(٢) راجع: الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها (١/٣٠٨).

(٣) يدلُّ على ذلك الحديث الذي رواه الإمام مسلم: «أنَّ النَّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كان عند أضاة بني غفار، فأتاه جبريلُ، فقال: إنَّ الله يأمركُ أن تُقرِئَ القرآنَ على حرفٍ (أي على وجه واحد من وجوه لهجات العرب)، فقال: سَلِ اللهَ معافاته ومعونته، فإنّ أمَّتي لا تطيق ذلك، (أي لأنها متعددة اللهجات، فلا تُطيق قراءة القرآن وفق لهجة واحدة)، ثم أتاه الثانية، فقال: اقرأ على حرفَيْن، فقال له مثل ذلك، ثم أتاه الثالثة بثلاث، فقال له مثل ذلك، ثم أتاه الرابعة فقال: إنَّ الله يأمرك أن تُقرِئَ أمتك على سبعةِ أحرفٍ، فأيّما حرف قرءوا عليه فقد أصابوا». النووي على مسلم (٦/١٠٣).

(٤) المحكم في نقط المصاحف (ص١٨٩).

(٥) راجع: شرح المقدمة المحسبة (٢/٤٦٧).

(٦) راجع: الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة (ص١٢٧، ١٢٨).

ليكون نطقُها بين «الألف» و«الواو»[١]، وإنَّما رسموا «الألف» «واواً»؛ لأنَّ مِن العرب مَن يُقرِّبُ اللَّفظَ بـ«الألف» إلى اللَّفظ بـ«الواو»، وهو المسمَّى تفخيماً عند القرَّاء[٢]. فلمَّا فُخِّمَ «الألف» انتُحِي بها نحو «الواو» التي «الألف» بدلٌ منها، كما في: ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾ ﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾ ﴿ٱلْحَيَوٰةِ﴾ ﴿ٱلرِّبَوٰاْ﴾ ﴿بِٱلْغَدَوٰةِ﴾ ﴿كَمِشْكَوٰةٍ﴾ ﴿ٱلتَّجَوٰةِ﴾ ﴿وَمَنَوٰةَ﴾ وكأنَّه بيّنَ التَّفخيمَ، فقَوى الصَّوتُ، فتوهَّمَ السّامعُ أنَّه «واواً» فنُقِلَ على ذلك[٣] في «لُغَةِ مَن يُفخِّمُ الْألف»[٤]، وهي ظاهرةٌ صوتيَّةٌ فاشيةٌ في لغة أهل الحجاز[٥]، وخصيصةٌ صوتيَّةٌ في لهجة قريش[٦]. أطلقَ عليها سيبويه (ت: ١٨٠هـ) «ألف التَّفخيم»[٧]، وهي «الألف» التي خالَطَ لفظَها تفخيمٌ قرَّبَها من لفظ «الواو»، وهي مِمَّا زادته العربُ في كلامها على التسعة والعشرين حرفاً.

يمكن القول - إذن - بتأثُّرِ رسم المصحف الإمام بالسِّياق اللَّهَجي للبيئة اللُّغوية التي تنزَّلَ بها القرآن الكريم. كما يمكن القول بأنَّ المخالفة الجزئيَّةُ لهجاء بعض الكلمات لقواعد الرَّسم القياسي في الرَّسم العثماني «= كإبدال الألف واواً»، مثَّلَ مظهراً من مظاهر فصاحة اللَّفظ القرآني؛ لموافقتها لهجة عربية فصيحة، هي تفخيم اللَّفظ بالألف في لهجة الحجاز، فضلاً عن تمثيلها لنسق الأداء على النَّحو الذي تلقاه الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو ما يعني أنَّ مثل هذه الظَّواهر الهجائيَّة في رسم المصحف الشَّريف أسهمتْ في الحفاظ على الصورة السَّماعيَّة للتنزُّلِ الصَّوتي للقرآن الكريم عن طريق تَمثُّل الرَّسم «= محاكاة» لكثيرٍ من خصائصه الأدائيَّة المحفوظة بالتَّلقي، والتَّواتر في صدور الحفَظَة.

(١) راجع: شرح كتاب سيبويه (٣٨٩/٥).
(٢) المساعد على تسهيل الفوائد (٢٤٤/٤، ٣٥٦).
(٣) المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية «شرح ألفية ابن مالك» (٢٦٨/٨).
(٤) تهذيب اللُّغة (١٨٥/٥).
(٥) الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة (ص١٠٩).
(٦) راجع: خصائص لهجة قريش، الإمام نافع نموذجاً (ص١٠٤٨٧).
(٧) راجع: الكتاب (٤٣٢/٤).

المطلب الثَّاني: أثر السِّياق اللُّغوي التَّاريخي في إبدال الألف واواً:

بداية؛ ما المقصود بالسِّياق اللُّغوي التَّاريخي؟ وهل يمكن أن يؤثِّرَ في ظواهر الرَّسم العثماني؟

السِّياق اللُّغوي التَّاريخي: هو كلُّ المؤثِّرات اللُّغويَّة التي تأثَّرتْ بها العربيةُ - في الفضاء اللُّغوي المحيط بها على مدى تاريخها الطَّويل - ابتداءً من علاقتها باللُّغة السَّاميَّة الأم (Proto Semitic)، وصولاً إلى علاقتها بأخواتها السَّاميات الأخريات.

وقد أثارَ السِّياقُ اللُّغوي التَّاريخي للعربية شُبهةً تتعلَّقُ باقتراضها بعض الألفاظ من أخواتها السَّاميات، كالسُّريانيَّة، والآراميَّة، والأكاديَّة... إلخ، حيث رَاحَ عددٌ من المستشرقين يطعنون - بطريقة بعيدة عن منهجية العلم - في عربيَّة القرآن الكريم؛ فقالوا بوجود ألفاظ أعجميَّة في القرآن الكريم، وقد كانت أحد مداخلهم في ذلك مخالفة بعض كلمات الرَّسم العثماني للرسم القياسي! فادَّعَوا عُجمَةَ هذه الكلمات متجاهلين الفرقَ بين التَّأثير الصَّوتي المتبادل للغات ذات الأصل الواحد، وتأكيد القرآن نفسه على عربيته الخالصة في مواضع كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿**إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ [يوسف: ٢]، كما تجاهلوا إدخالَ العربية بعض الكلمات الأعجميَّة في نظامها اللُّغوي قبل نزول القرآن، وإجراءها على سننها، ومقاييسها، الأمر الذي أزالَ عنها صبغتها الأعجميَّة؛ فغدتْ شائعةً، متداولة في اللِّسان العربي؛ ومن ثَمَّ لا يصحُّ القول بعجمتها.

ولعلَّ أبا بكرٍ الصُّولي (ت: ٣٣٥هـ) أوَّل مَن لفتَ إلى تأثُّر رسم المصحف بالفضاء اللُّغوي المحيط ببيئة الحجاز اللُّغوية؛ حينما أشار إلى تعلُّق بعض ظواهر الرَّسم العثماني بطريقة تعلُّم الرَّسم، في باب «ما كُتِبَ على غير القياس»، يقول: «من ذلك: ﴿**ٱلصَّلَوٰةَ**﴾ و﴿**ٱلزَّكَوٰةَ**﴾ و﴿**بِٱلْغَدَوٰةِ**﴾ و﴿**ٱلْحَيَوٰةِ**﴾ و﴿**كَمِشْكَوٰةٍ**﴾ و﴿**ٱلرِّبَوٰاْ**﴾ كُتِبَ كلُّ هذا في المصحف «بالواو»، وكان يجبُ أن يُكتَبَ «بالألف» للفظِ؛ وإنَّما كُتِبن كذلك

على مَثَل أهل الحجاز؛ لأنَّهم تعلَّمُوا الكِتابَ من أهل الحيرة، وهذا إنَّما فُعِلَ بسبب قلَّة الكِتاب في ذلك الزَّمان...»[1].

وهذا تفسيرٌ منظورٌ فيه إلى تَعلُّم «أهل الحجاز» الخطَّ من «أهل الحيرة»، لا إلى محاكاة لهجة الحجاز، وهو ما لم يُقِمْ أبو بكر الصُّولي دليلاً عليه! ولم أجد - فيما راجعته من كتب الرَّسم - ما يُدللُ عليه، ومع ذلك يُحمَدُ للرجل ما أثاره من حِرَاك فكري يتعلَّق بجواز تأثُّر الهجاء العربي بالفضاء اللُّغوي المحيط به.

وقد ذَهب الدكتور كمال بشر إلى تأثُّر العربية في مستواها النُّطقي الفصيح لبعض الألفاظ ببعض أخواتها السَّاميات، يقول في سياق حديثه عن جواز تفخيم الألف: «وفي ظننا أنَّ هذا النُّطقَ اللَّهَجي - غير المرتبط بالموقع، والسِّياق - متأثرٌ بنطقٍ أجنبي عن العربيَّة في مستواها الفصيح، وبدليل أمثلته الأخرى في بقية النَّص، هي ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾ و﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾... إلخ، وهي كلماتٌ سوريانيَّةُ الأصل على ما نعلم»[2].

ونحن وإنْ كنَّا نوافق الدكتور بشر على جواز تأثُّر العربية في مستواها النُّطقي الفصيح لبعض الألفاظ بالمستوى النُّطقي لبعض أخواتها السَّاميات، فإنَّنا لا نوافقه على أنَّ هذه الألفاظ القرآنية ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾ و﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾...، كلماتٌ سوريانيَّةُ الأصل؛ لأنَّ السَّريانيَّة ليستْ سابقةً على العربية تاريخيّاً[3]، وعلى الرغم من ذلك لا يمتنعُ اشتراكهما في بعض الأصوات، بل والألفاظ أيضاً؛ وهو ما ذهب إليه الدكتور بشر نفسه، حينما افترضَ تأثر النُّطق اللَّهجي لهذه الألفاظ بنطق أجنبي «= غريب» عن العربيَّة، مساوٍ لها في مستواها الفصيح، وهو النُّطق السُّرياني، وهو افتراضٌ جائزٌ، ولكنَّه لم يُقِمْ دليلاً عليه! وهذا ما سوف ندلل عليه في هذا المبحث.

(١) راجع: أدب الكتّاب (ص٢٥٥).

(٢) دراسات في علم اللُّغة (ص٩٣).

(٣) العربية أقدم اللغات السامية، لكنها آخر اللغات السامية تدويناً. راجع: نشوء اللغة العربية ونموها واكتمالها، الأب أنستاس ماري الكرملي (ص٦٧).

وننبِّه - في هذا السِّياق - إلى أنَّه ثمة بونٌ شاسعٌ بين الزَّعم بسُريانيَّة بعض ألفاظ القرآن الكريم، والقول بجواز التأثُّر الصَّوتي على المستوى النُّطقي لبعض ألفاظ القرآن الكريم ببعض اللُّغات السَّاميَّة، بوصفها أخوات للعربيَّة، تنتمي جميعها إلى أصل واحد، وهو ما التفتَ إليه الإمام ابن حزم (ت: ٤٥٦هـ) في قوله: «إنَّ الذي وقفنا عليه، وعلمناه يقيناً أنَّ السُّريانيَّة، والعبرانيَّة، والعربيَّة هي لغةُ مُضَر، وربيعة، لا لغة حِميَر، لغةٌ واحدةٌ تبدَّلتْ بتبدُّل مساكن أهلها، فحدثَ فيها جَرشٌ كالذي يحدثُ من الأندلسي إذا رَامَ نغمةَ أهل القيروان، ومِن القيرواني إذا رَامَ نغمةَ الأندلسي...، فمَنْ تدبَّرَ العربيَّةَ، والعبرانيَّةَ، والسُّريانيَّةَ أيقنَ أنَّ اختلافهما، إنَّما هو من نحو ما ذكرنا من تبديلِ ألفاظ النَّاسِ على طول الأزمان، واختلاف البلدان، ومجاورةِ الأمم...»[(١)]. ومادام الأمر كذلك، فلا عجبَ أن تتأثرَ العربية ببعض الخصائص الصَّوتية للسُّريانيَّة، وأن تظل بها بقيةٌ من بعض خصائصها اللَّهجيَّة، لا سيَّما أنَّهما كانتا «= السُّريانيَّة، والعربيَّة» لغةَ مُضَر، ورَبيعة، وإذا كانتْ «مُضَر» هي القبيلةُ الأمُّ التي انفرعتْ عنها قريشٌ[(٢)]، وكنانةٌ، وبنو تميم، فمن الطبعي أن يحدثَ نوعٌ من التَّأثرُ اللُّغوي بين اللُّغتين، وإذا كانت العربية الفصحى لا تزال «تحتفظ بالسِّمات العامَّة، والأصلية للغة السَّاميَّة البدائيَّة من ناحية الخصائص الصَّوتيَّة للمفردات، والصِّياغة النحويَّة للقواعد»[(٣)]، على نحو ما أثبتَه اللُّغوي سباتينو موسكاتي (Sabatino Moscati) الذي أكَّد اشتراكَ السَّاميَّة الأم

(١) الإحكام في أصول الأحكام (١/٢٨، ٢٩).

(٢) وردَ في تاريخ الطبري في باب «ذكر بقية خبر مسيلمة الكذاب وقومه من أهل اليمامة»، قولُ بعض أنصار مسيلمة الكذَّاب: «... ولكن كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مُضَر»، يقصد «بصادق مُضر» محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنَّه من قريش. راجع: تاريخ الطبري (٣/٢٨٦).

(٣) Belova, A. G. (2009). South Semitic Languages. In: Kees Versteegh (ed), Encyclopaedia of Arabic language and linguistics. Vol. 4, p.313.

وراجع كذلك: الموسوعة الكاثوليكية الحديثة (New Catholic Encyclopedia) في قولها: «لقد تمَّ الحفاظُ على القيمة الصوتيَّة للكلمات في المشترك السَّامي باللُّغتين العربيَّة الجنوبيَّة القديمة، والعربيَّة».
Fitzmyer, J. A. (2003). Aramaic language. In: Berard L. Marthaler, O.F.M. Conv (eds). New Catholic Encyclopaedia. Vol I, p.625.

(Proto Semitic) مع العربيَّة في نظام المدِّ، يقول: «للسَّامية الأم ثلاثةُ أصوات مدٍّ قصيرةٍ، هي: الحلقي الخلفي المفتوح بالفتحة (اَ:ā)، والحنكي الأمامي المغلق بالكسرة: (اِ:ī)، والحلقي الخلفي المغلق بالضمة: (أُ:ū) مع استدارة شديدة للشفتين، ولها كذلك ثلاثةُ أصوات مدٍّ مقابل لها، وهي: الألف، والياء، والواو (ā ī ū)، وتتفقُ السَّاميَّة الأمُ مع العربيَّة في نظام المدِّ، الذي تعكسُ من خلاله شبكةَ رموزه الخطية كلَّها من خلال الوضع الصَّوتي التَّطريزي، ويُظهِر تاريخ العربية، ولهجاتُها بجلاء الطَّريقةَ التي تطورتْ بها أصواتُ المدِّ من أنواع المدِّ الأخرى في بقية اللُّغات السَّاميَّة[1]. وقد يعني هذا أنَّ العربية هي الأقرب في بنيتها الصوتيَّة، على مستوى الحروف، والحركات إلى السَّاميَّة الأم[2]، ممَّا يجعلُها حُجَّةً على أخواتها السَّاميات من حيث كيفيَّة النُّطق الأصوب للجذور والكلمات»[3].

وقد وضعَ اللُّغويون المحدثون للمقارنة بين اللُّغات الحديثة والقديمة مجموعةً من الآليات تقوم على التَّحليل المنهجي للتشكيل الصَّوتي (Phonology)[4]، والمفردات، والقواعد النَّحويَّة؛ بقصد الوقوف على أوجه التَّشابه، والاختلاف بينها، و«تُسمَّى هذه العملية بإعادة البناء، ويُشار إليها بعلامة النجمة (*) أمام الكلمة، أو الرَّمز الصَّوتي المطروح للنقد في فقه اللُّغة المقارن، ويتمُّ نسبتها إلى اللُّغة الأصليَّة الأم عندما تستوفي شرطَيْن: **الأول**: التَّطابق في البناء الصَّوتي بينها وبين اللُّغة الأصليَّة. **الثَّاني**: اتفاقها في

(١) مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن (ص٨٤، ٨٥).

(٢) راجع: فقه اللغة، علي عبد الواحد وافي (ص١٢).

(٣) راجع: ءأعجمي وعربي، موسوعة معجميَّة ولغوية وتاريخية في نفي اللغات الأعجمية عن القرآن الكريم والرد على المستشرقين (٦٣٥/٢).

(٤) يُعنى التشكيل الصوتي بدراسة الأصوات في تجاورها، وارتباطاتها، ومواقعها، وكونها في هذا الحرف أو ذاك، وإمكان وجودها في هذا المقطع أو ذاك، وكثرة ورودها وقلته، ثم دراسة الظواهر التي لا ترتبط بالأصوات «الصحاح والعلل» من حيث هي، بل بالمجموعة الكلامية بصفة عامة، كالموقعية، والنبر، والتنغيم، ودراسة الأصوات من هذه النواحي الأخيرة، دراسة لسلوكها في مواقعها أكثر مما هي دراسة للأصوات نفسها. راجع: مناهج البحث في اللغة، تمام حسان (ص١١١).

صياغة المفردة، والتراكيب النحوية؛ للتَّأكد أنَّ التَّطابقَ لم ينتجْ من خلال التَّشابه عن طريق المصادفة، ومن ثَم يمكن إثبات الصِّلة السَّابقة بينها وبين اللُّغة الأصل»[1].

ويمكننا أن نلاحظ في الشكل (١) الذي يقارن فيه فخرُ الدِّين آبادي استخدامَ بعض آليات هذه المقارنة؛ بقصد الوقوف على التَّقاربِ بين الخصاص الصَّوتية النُّطقيَّة للفظ ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾ في العربيَّة، وفي بعض اللُّغات السَّاميَّة الأخرى على النحو الآتي[2]:

المشترك السامي للمفردة: ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾				
اللغة	الكتابة الأصلية		القيمة الصوتية	المعنى
الأكادية	𒊭𒈾		(٦) ṣallû	صلاة - صلَّى
الأوغاريتية	-			
الفينيقية	-			
الآرامية	צְלָא		(٧) ṣélā	صلاة - صلَّى
السريانية	ܨ ܠ	ܠܐ	(٨) ṣélā	صلاة - صلَّى

(شكل ١)

(١) Wolff, H. Ekkehard. (May. 14/2018), Afro-Asiatic languages: Encyclopedia Britannica

راجع حديث الموسوعة اليهوديَّة عن كون اللُّغة العربية هي أقدم اللغات السَّامية، وأقربها إلى خصائص السَّامية الأم:
William, Popper. The Jewish Encyclopedia. Vol: 11. p.189-191.

وراجع كذلك: إقرار بطريرك السُّريان الأرثوزكس «مار إغناطيوس أفرام الأول» بأنَّ اللُّغة العربية هي أقدم اللغات السامية، وأقربها للأصل السَّامي:

Barsoum. Ignatius Aphrem Vol: 46. p.744.

راجع: «تاريخ العرب» الصادر عن جامعة أوكسفورد (Oxford):

Bernard, Lewis. Arabs in History. P.17.

(٢) ءأعجمي وعربي، موسوعة معجميَّة ولغوية (١٣١٣/٣). رجعَ فخر الدين آبادي في هذه المقارنة الصَّوتيَّة إلى مجموعة من المصادر الأجنبية المتخصصة في دراسة اللغات الساميَّة، على النحو الذي أحال إليه في الجدول المرفق:

(6) Von Soden. Akkadisches Handwörterbuch: Vol. II; p. 923.

(7) Gesenius. A Hebrew and English Lexicon: p.852. & Jastrow. A dictionary of the: Vol. II; p.1282.

(8) Smith. Supplement to the Thesaurus Syriacus: Vol. II (-); p.3396 & Brockelmann. Lexicon Syriacum: p.628. & Costaz. Dictionnaire Syriaque: p.302.

يُظْهرُ الشكل (١) السابق التَّقاربَ في الصورة النُّطقيَّة للفظ ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾ في الرَّسم العثماني مع بعض اللُّغات السَّاميَّة (Semitic Languages)، مثل: الآكاديَّة (Akkadian)، والآراميَّة (Aramaic)، والسُّريانيَّة (Syriac)، وهي لغاتٌ ظهرتْ في الفضاء البيئي المتاخم لجزيرة العرب، الذي ارتبط العرب معه بعلاقات تجارية، وثقافية، وحضارية واسعة، تعزِّزُ من فرضيَّة التأثُّر ببعض الخصائص الصَّوتية والصَّرفية لهذه اللُّغات التي تجتمع مع العربية على أصل واحد، هو السَّاميَّة الأم (Proto Semitic)[١]، ومن ثَم فإنَّ ذلك لا يمنع تأثُّر النُّطق اللَّهَجي العربي لبعض كلمات القرآن الكريم بالنُّطق السُّرياني، أو الآرامي لنفس الكلمات، بوصفها كلمات كانت متدَاوَلة في البيئة العربية قبل نزول القرآن الكريم، لا سيَّما إذا علمنا - وفقاً لنقوش العربية القديمة - أنَّ الخطَّ العربي تطوَّرَ عن الخط النبطي الآرامي[٢]!

ونؤكد - في هذا الصَّدد - أنَّنا نتحدثُ عن جواز وقوع التَّشابه النُّطقي، وليس الخطِّي؛ لأنَّه - كما يبدو من الشكل السَّابق - لا يوجدُ تشابهٌ بين الأبجديَّة العربيَّة، وباقي الأبجديات السَّاميَّة، وإنْ وجِدَتْ بعضُ التَّشابهات على المستوى الصَّوتي، كما هو الحال في طريقة نطق لفظ ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾ الذي تشابهتْ صورتُه النُّطقية في العربية

(١) أكَّدَ معجم الدوحة التاريخي للغة العربية هذه الظاهرة في مقدمته، أثناء حديثه عن النظائر السامية المثبتة في المعجم، حيث مثَّل لذلك بهذا الجذر اللغوي (ء، ج، ر) على النحو الآتي:

•الآرامِيَّةُ البَابِلِيَّةُ/ الفَلَسْطِينِيَّةُ ٢ g-:

אגר *gr* اسْتَأْجَرَ

אגרא *ʾagrā* أُجْرَة، أَجْرٌ

•السُّرْيَانِيَّةُ ٢ g-:

ܐܓܪ *ʾegar* اسْتَأْجَرَ

ܐܓܪܐ *ʾagrā* أُجْرَة، أَجْرٌ

ܐܓܓܪܬܐ *ʾeggarṯā* رِسَالَة، مَقَالَة

لعلنا لاحظنا التشابه الصَّوتي والدلالي للجذر (ء، ج، ر) في العربية، وأختَيْها: الآرامية، والسُّريانية!

راجع: مقدمة معجم الدوحة التاريخي للغة العربية، خامساً: النظائر السامية والمقترضات.
https://www.dohadictionary.org/about-dictionary

(٢) راجع: المصدر السابق نفسه: مقدمة معجم الدوحة التاريخي للغة العربية، فقرة: النقوش العربية القديمة.

مع صورته النُّطقيَّة في السُّريانيَّة، والآكاديَّة، والآراميَّة[١]، وهو ما يعني أنَّ «تفخيم الألف» في هذه الألفاظ القرآنيَّة الثَّمانية: ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾ ﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾ ﴿ٱلْحَيَوٰةِ﴾ ﴿ٱلرِّبَوٰاْ﴾ ﴿بِٱلْغَدَوٰةِ﴾ ﴿كَمِشْكَوٰةٍ﴾ ﴿ٱلنَّجَوٰةِ﴾ ﴿وَمَنَوٰةَ﴾، قد يكون خضع للتَّأثُّر بالصبغة الكلاميَّة المبكرة لنفس هذه الألفاظ في هذه اللُّغات السَّاميَّة[٢]، دون التَّأثر برسمها الهجائي؛ وهذا ملاحَظٌ في اللُّغات ذات الأصل المشترك مثل اللغات الأنجلو ساكسونيَّة على ما قرَّر علماء اللُّغة المحدثون[٣].

ولا يظنَّ ظانٌّ أنَّ وجودَ بعض التَّشابهات الصَّوتيَّة والصَّرفيَّة، وربما الدلاليَّة بين بعض الألفاظ العربية، وبعض ألفاظ اللُّغات السَّاميَّة الأخرى يعني عُجْمَةَ هذه الألفاظ العربية[٤]؛ لأنَّ وجود مثل هذه التَّشابهات يتوافق مع المنطق اللُّغوي، الذي لا يمنع وجود نوع من التَّشابه الصَّوتي والصَّرفي بين اللُّغات المنحدرة من أصلٍ واحدٍ[٥]، على نحو ما نلاحظه بين بعض ألفاظ الإنجليزية والفرنسيَّة مثلاً.

---

(١) راجع: النقوش الواردة في مادة «صلو» (sly) بمعجم الدوحة التاريخي قبل الميلاد بأربعة قرون!
https://www.dohadictionary.org/about-dictionary

(٢) راجع: التَّطور اللُّغوي، مظاهره وعلله وقوانينه (ص١٢٤).

(٣) راجع: Pugh, Albert (1951). History of the English language. London: Routledge and Kegan Paul. pp.60-83, 110-130.

(٤) ذهبَ كثيرٌ من المستشرقين إلى القول باشتمال القرآن الكريم على كثير من الألفاظ الأعجمية، وراحوا يجتهدون في إثبات هذا الزعم الباطل بطرق بعيدة عن المنهجيَّة العلمية، على نحو ما فعل كريستوف ليكسونبرج (Christoph Luxenberg)، وغبريال صوما (Gabriel Sawma)، وأرثر جيفري (Arthur Jeffery)، رافائيل نخلة، وأشياعهم. راجع:
Jeffery, Arthur. The Foreign vocabulary of the Qur'an. Leiden.
Sawma, Gabriel. The Qur'an: Misinterpreted, Mistranslated, And Misread the Aramaic Language of the Qur'an.
وراجع: غرائب اللغة العربية، رافائيل نخلة اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت (١٩٥٩م).
وهذا ادَّعاء قد أبطلة مبكراً أبو عُبيد القاسم بن سلاَّم الهروي (ت: ٢٢٤هـ) في «غريب الحديث»، حيث قال في تفنيد الألفاظ ذات الأصل الأعجمي: «وذلك أن أصل هذه الحروف بغير لسان العرب في الأصل...، ثم لفظت به العرب بألسنتها فعربته فصار عربيّاً بتعريبها إيَّاه». راجع: غريب الحديث: أبو عُبيد القاسم بن سلاَّم الهروي، المحقق: د. محمد عبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، الطبعة الأولى (١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م) (٤/٢٤٣).

(٥) راجع: اللغة العربية، تاريخها، ومستوياتها، وتأثيرها: كيس فريستيغ (ص٣٤، ٣٥). وراجع كذلك مبحث «تناظر اللغات السامية والعربية» من كتاب: نشوء اللغة العربية ونموها واكتمالها، أنستاس ماري الكرملي (ص٩٣ - ٩٥).

المبحث الثَّالث
أثرُ السِّياق الصَّوتي الداخلي
في إبدال الألف واواً في الرّسم العثماني

هل يمكن أن ننظر إلى ظاهرة إبدال «الألف» «واواً» في رسم المصحف في هذه الكلمات: ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾ ﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾ ﴿ٱلْحَيَوٰةِ﴾ ﴿ٱلرِّبَوٰاْ﴾ ﴿بِٱلْغَدَوٰةِ﴾ ﴿كَمِشْكَوٰةٍ﴾ ﴿ٱلنَّجَوٰةِ﴾ ﴿وَمَنَوٰةَ﴾ بوصفها ظواهر هجائيَّة تخضع لطبيعة البنية الصوتيَّة للكلمة، أو قل للسِّياق الصَّوتي للأصوات التركيبيَّة؟

تقتضينا الإجابة عن هذا السُّؤال النَّظر في الخصائص الصَّوتية لحرف «الألف»، ثم النَّظر في سياقه الصَّوتي الدَّاخلي، بوصفه صوتاً داخِلاً في تكوين بنية الكلمة، وفقاً لمبادئ علم الأصوات النطقي (Articulatory phonetics) الذي يُعنى بشرح إنتاج الصوت اللُّغوي، وطبيعة أصوات الحروف، وتأثير بعضها في بعض، وما يطرأ عليها من تغيرات... إلخ[1]. يرجعُ التَّركيبُ الصَّوتي «للألف/ألف المد» إلى حركة الفتحة الطَّويلة (ā)[2]، وهو ما يجعلنا ننظرُ إليه بوصفه صائتاً يتصفُ بالجهر؛ لانطباق الخواص النُّطقيَّة للفتحة الطَّويلة عليه، وهو ما يعني أنَّ ما يخضعُ له «الألف» من «تفخيمٍ» يرجعُ إلى تأثير الأصوات السَّابقة له «= السِّياق الصَّوتي الذي ينتظمُه». أمَّا هو فلا يُوصفُ في ذاته بتفخيمٍ أو ترقيقٍ[3]؛ لأنَّه لا تدخلُه حركةٌ، وإنَّما يتبعُ صفات الحرف السَّابق عليه؛ فإنْ كان ما قبله مُفخَّماً فُخِّمَ، نحو: «قَال، طَاب» وإنْ كان ما قبله مرقَّقاً رُقِقَ، نحو: «تَاب، نَاب»، وهو ما يعني اتصاف الحركات النُّطقيَّة الفاعلية، والتَّداخل في السِّياق الصَّوتي لنَظْم الكلمات.

---

(١) راجع: دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر (ص٩٧) وما بعدها.

(٢) أُخِذَتْ حروف المد واللِّين الثلاثة (و، ا، ي) من الحركات الثلاثة (الضمَّة، والفتحة، والكسرة)، فإذا ما أُشبِعتْ هذه الحركات الثلاثة، حدثَتْ منها هذه الحروف الثلاثة. راجع: سر صناعة الإعراب (٣٤/١).

(٣) راجع: دراسات في علم اللُّغة (ص٩١، ٩٢).

ومن خصائص «الألف» أنه تُبدَل منه «واو»، فتأخذ «الواو» عند إبدالها حركة ما قبلها، وهي في الغالب «الفتحة»؛ لكون «الألف» لا يكون ما قبله إلَّا مفتوحاً أبداً[١]. ولعلَّ هذا ما لفتَ إليه ابن جني بإشارته إلى تأثُّر «الواو» المبدَلة من «الألف» بفتح ما قبلها، في قوله: «ورُوِّينا عن قطرب أنَّ بعض أهل اليمن، يقول: «الصَّلَوْةُ»، و«الزَّكَوْةُ»، و«الحَيَوْةُ» بواوٍ قبلها فتحة، فهذه «الواو» بدلٌ من «ألف» «صَلَاة»، و«زَكَاة»، و«حيَاة»، وليست بلام الفعل من «صَلَوتُ»، و«زَكَوتُ»، ألا تَرى أنَّ «لام» الفعل من «الحيَاة» «ياء»، وقد قالوا: «الحيَوة»[٢]. فقوله: «... بـ«واوٍ» قبلها «فتحة»» فيه إشارةٌ إلى تأثُّرِ «الواو» المبدَلة من «الألف» بحركة الحرف السَّابق عليها، وهو «الفتحة»[٣]. هذا فضلاً عن اشتراك المبُدَل «= الواو»، والمبدَل منه «= الألف» في صفتي الجهر، والانفتاح[٤]، فكلاهما هوائي في حَيزٍ واحدٍ[٥]، هو الجوف، وهو ما يعني وجود نوع من التَّناسب الصَّوتي سوَّغَ إبدالَ أحدهما من الآخر[٦]. هذا فضلاً عن كونهم لا يُفخِّمون «الألفَ» التي مالتْ إلى «الواو» إلَّا إذا كانتْ هذه الألف أصلها واو؛ فـ«الواو» في جميع هذه الكلمات ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾ ﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾ ﴿ٱلْحَيَوٰةِ﴾ ﴿ٱلرِّبَوٰاْ﴾ ﴿بِٱلْغَدَوٰةِ﴾ ﴿كَمِشْكَوٰةٍ﴾ ﴿ٱلنَّجَوٰةِ﴾ ﴿وَمَنَوٰةَ﴾ مُبدلةٌ من «الألف»؛ فـ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾ ﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾ ﴿ٱلْحَيَوٰةِ﴾ ألفَها واوٌ؛ لأنَّ جَماعتَها: الصَّلوات، والزَّكوات، والحيوات...[٧]؛ ولذلك ذكَرَ أبو عمرو الدَّاني إبدالَ الألف واواً تحت باب: «باب ذِكر ما رُسِمَتِ الألفُ واواً على لفظ التَّفخيم، ومراد الأصل»[٨]، فهو يقدِّمُ في عنوان الباب تفسيراً للأسباب الصَّوتيَّة لإبدال الألف واواً، بقوله: «رُسِمَتِ الألفُ واواً

(١) الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة (ص٩٥).
(٢) سرُّ صناعة الإعراب (٢٣٠/٢).
(٣) تتميز «أصوات المد» في العربية بأنها أكثر الأصوات عرضة للتَّغير، والإبدال، والتنوع النُّطقي كالإمالة، والتفخيم.
(٤) راجع: جمهرة اللُّغة (٤٦/١). كما تشترك «ألف المد» مع «الواو» في خاصتي المد، والعلة.
(٥) كتاب العين (٥٨/١).
(٦) فالحروف المتقاربة في المخارج، والصفات، يقع الإبدالُ فيها عند النُّطق لدى بعض الناس، وفي بعض اللَّهجات.
(٧) كتاب العين (١٥٤/٧).
(٨) المقنع في رسم مصاحف الأمصار (ص٦٠). ولا شك أن مراعاة الأصل فيه التزام لهجة فصيحة.

على لفظ التَّفخيم ومراد الأصل»؛ فاللَّفظُ بها على جهة «التَّفخيم» سببٌ صوتيٌّ لهجيٌّ، و«مراد الأصل» سببٌ صرفيٌّ يتعلَّقُ بكون أصلها واواً على نحو ما يبينه الشكل الآتي:

م	الكلمة	الجمع	الفعل	أصل «الألف»
١	ٱلصَّلَوٰةَ	الصَّلوات	صلو(١)	«الواو»
٢	ٱلزَّكَوٰةَ	الزَّكوات	زكو(٢)	«الواو»
٣	ٱلْحَيَوٰةِ	الحيوات	حَيَو(٣)	«الواو»
٤	ٱلرِّبَوٰاْ(٤)	رِبَوان «مثنى»	رَبَو(٥)	«الواو»
٥	بِٱلْغَدَوٰةِ	الغَدَواتِ	غدو(٦)	«الواو»
٦	كَمِشْكَوٰةٍ	مشكوات	شكو(٧)	«الواو»
٧	ٱلنَّجَوٰةِ	نجوات	نجو	«الواو»
٨	وَمَنَوٰةَ	منيات	مني(٨)	«الياء»

(شكل ٢)

هذا، ويربطُ جان كانتينو (Jean Canteno) تفخيم الألف في النُّطق، وإبدالها واواً في الرَّسم بنمط الهجاء العربي السَّائد في البيئة العربية آنذاك، فيرى أنَّ العرب

(١) معجم الجذور المجردة لكلمات القرآن الكريم (١٩/١).
(٢) المصدر السَّابق (٣٥١/١).
(٣) كتاب العين (٣١٧/٣).
(٤) أمَّا زيادة «الألف» بعد «الواو» المزيدة في الرَّسم من كلمة ﴿ٱلرِّبَوٰاْ﴾ فقد زِيدَتْ، على لغة مَن يُفخِّم، تشبيهاً بواو الجمع، فكأن الكاتب حملَ على ما هو الأصلُ، فخرجَ عَمَّا يطابقُه اللَّفظ، وقيل: زيدتِ الألفُ للجمع بين العوض، والمعوض منه. راجع: فتح الرحمن في تفسير القرآن (١٤/١)، المساعد على تسهيل الفوائد (٣٥٦/٤).
(٥) المصدر السَّابق (٤٦/١).
(٦) معجم الجذور المجردة لكلمات القرآن الكريم (١٣٣/١).
(٧) المصدر السَّابق (٣٥٤/١).
(٨) المصدر السَّابق (٥٢٦/١). ومناة: اسم صنم كان لهذيل وخزاعة بين مكة والمدينة، والهاء للتأنيث وتسكت عليها بالتاء، وهي لغة، النسبة إليها منوي. راجع: الصحاح تاج اللُّغة وصحاح العربية (٢٤٩٨/٦).

كانت كثيراً ما ترسم الفتحات الطَّويلة - المعبرة عن تفخيم الألف - بواسطة «الواو» ومن ذلك بالخصوص كلمة «صَلَاة»، و«زَكَاة»، و«حَيَاة»، فكانتْ تُنطَقُ «صَلُوة»، و«زكُوة»، و«حَيُوة» (Ṣalōt, Zakōt, ẖayōt)[1]. ولعلَّ هذا أثرٌ من آثار اللَّهجة في خطِّهم، فيبدو أنَّهم اعتادوا النَّظر إلى الألف المفخَّمة على أنَّها مساوية للواو، وهذا ما صرَّح به الخليل ابن أحمد (ت: ١٧٠هـ) في قوله: «وأَلِفٌ مُفَخَّم يضارع الواو»[2]! فتراه صرَّحَ أنَّ الألف المفخَّم يضارع الواو، ومن ثَم أثبتوا في الخطِّ ما هو ثابتٌ في اللَّفظ؛ ليكون الخطُّ دليلاً على اللَّفظ. وهو ما يعني أنَّ إبدال «الألف» «واواً» في رسم المصحف ظاهرة لهجيَّةٌ بالأساس؛ وليس ظاهرة ناتجة عن تأثير السِّياق الصَّوتي الدّاخلي للكلمة.

وإذا علمنا أنَّ «الألف» لا تُوصَفُ في ذاتها بتفخيمٍ أو ترقيقٍ[3]؛ وإنَّما تُوصَفُ بهذين الوصفَيْن؛ وفقاً لصفات الحرف السَّابق عليها، فمعنى ذلك أنَّنا نتوقع أن تكون جميع الحروف السَّابقة عليها مفخَّمةً؛ مادامتِ الألف مُفخّمة في جميع الكلمات المذكورة، ولكن العكس هو الواقع بالفعل! فقد وقعتِ الحروف السَّابقة على الألف مرقَّقةً في جميع الكلمات إلَّا حرفاً واحداً هو «ص» في كلمة ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾ وهو ما يعني أنَّ «الألف» لم تتأثرْ بسياقها «موقعها» الصَّوتي في بنية الكلمة، وهو ما يعني أنَّ تفخيمها في هذه المواضع جاء استجابةً للخصائص اللَّهجيَّة لأهل الحجاز الذين دأبوا على تفخيمها في هذه المواضع، وهو ما يظهره الشكل الآتي:

م	الكلمة	الحرف السَّابق على «الألف»	صفته	صفة «الألف» في الرَّسم
١	ٱلصَّلَوٰةَ	(ـصـَّ)	مُفَخَّمٌ	مُفَخَّمٌ
٢	ٱلزَّكَوٰةَ	(ـكَـ)	مُرقَّقٌ	مُفَخَّمٌ
٣	ٱلْحَيَوٰةِ	(ـيَـ)	مُرقَّقٌ	مُفَخَّمٌ

(١) راجع: دروس في علم أصوات العربية (ص١٦٣).
(٢) كتاب العين (٤/٢٨١).
(٣) راجع: بيان جهد المقل (ص١٥٤)، دراسات في علم اللُّغة (ص٤١٣).

م	الكلمة	الحرف السَّابق على «الألف»	صفته	صفة «الألف» في الرَّسم
٤	ٱلرِّبَوٰاْ	(ـبَـ)	مُرقَّقٌ	مُفَخَّمٌ
٥	بِٱلْغَدَوٰةِ	(ـدَ)	مُرقَّقٌ	مُفَخَّمٌ
٦	كَمِشْكَوٰةٍ	(كَـ)	مُرقَّقٌ	مُفَخَّمٌ
٧	ٱلنَّجَوٰةِ	(ـجَـ)	مُرقَّقٌ	مُفَخَّمٌ
٨	وَمَنَوٰةَ	(ـنَـ)	مُرقَّقٌ	مُفَخَّمٌ

(شكل ٣)

وهكذا يتبيَّن لنا - كما يظهر من هذا الجدول - أنَّ السَّبب في إبدال «الألف» «واواً» في الرَّسم العثماني ليس سبباً متعلقاً بالسِّياق الصَّوتي الدَّاخلي للألف في بنية هذه الكلمات، وإنَّما هو سببٌ لهجيٌّ يتعلَّقُ بالخصائص الصَّوتيَّة لبيئة الحجاز اللُّغويَّة التي تنزَّلَ القرآن الكريم فيها؛ تلك التي فشَا فيها تفخيم الألف، وهو ما يعني هذه الظاهرة في الرَّسم العثماني تأثرتْ بالسِّياق الصَّوتي للبيئة اللغوية العربية.

خاتمة بنتائج وتوصيات البحث

وبعد، فقد توصَّل البحث في أثر السِّياق الصَّوتي في توجيه ظاهرة إبدال الألف واواً في بعض كلمات الرَّسم العثماني إلى مجموعة من النتائج، أهمها:

١. أنَّ ظاهرة إبدال الألف واواً في الرَّسم العثماني لا تدل على سوء هجاء الأولين كما زعم البعض، وإنَّما تُعبِّرُ عن نمطٍ من أنماط الهجاء السَّائد وقت كتابة المصحف الإمام.

٢. عكستْ ظاهرة إبدال الألف واواً في الرَّسم العثماني مظهراً من مظاهر التأثُّر بالسِّياق اللَّهجي السَّائد في بيئة الحجاز اللُّغوية التي فشَا فيها تفخيم اللَّفظ بالألف.

٣. أظهرَ البحث نجاح ظواهر الرَّسم العثماني في تمثيل النَّسق الصَّوتي للأداء القرآني على النَّحو الذي تلقاه الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٤. أبرزتْ ظاهرة إبدال الألف واواً في هجاء المصحف مقدرةَ الرَّسم العثماني على تمثيلَ الصَّوائت الطَّويلة في الأداء القرآني.

٥. أظهرَ البحث جوازَ تأثُّر الأداء النُّطقي للألفاظ التي أُبدِلتْ فيها الألف واواً في رسم المصحف بالأداء النُّطقي لهذه الألفاظ في بعض اللُّغات السَّامَّية التي تلتقي مع العربية في الأصل السَّامي.

٦. أثبتَ البحث أنَّ ظاهرة إبدال الألف واواً في رسم المصحف تُعدُّ أحد مظاهر فصاحة اللَّفظ القرآني؛ لموافقتها لهجة فصيحة من لهجات العرب نزل القرآن الكريم بها.

٧. أثبتَ البحث أنَّ السَّبب في إبدال «الألف» «واواً» في رسم المصحف ليس سبباً متعلقاً بالسِّياق الصَّوتي الدَّاخلي للألف، وإنَّما هو سببٌ لهجيٌّ يتعلَّقُ بالخصائص الصَّوتيَّة لبيئة الحجاز اللُّغويَّة التي تنزَّلَ فيها القرآن الكريم.

توصيات البحث:

وأخيراً يوصي البحث بما يأتي:

إنشاء مرصد للخط العربي: تكون من مهامه الكشفُ عن أقدم المخطوطات والنقوش العربيَّة، ودراستها؛ بقصد الوقوف على ملامح، وأنماط، وأسلوب الهجاء العربي السَّابق على نزول القرآن الكريم، واللاحق عليه؛ للاستعانة بها في تفسير بعض ظواهر الرَّسم العثماني تفسيراً علميّاً بعيداً عن الاستبطان الذاتي، لا سيَّما أنَّه لا تزال هناك ظواهر هجائية تحتاج إلى توجيه شاف.

والحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**
- **ءأعجمي وعربي، موسوعة معجميَّة ولغوية وتاريخية في نفي اللغات الأعجمية عن القرآن الكريم والرد على المستشرقين**: فخر الدين الكهرمان آبادي حمزة بن سليمان، تبصير لتقريب التراث والدراسات العلمية والترجمة، القليوبية، مصر، الطبعة الأولى (٢٠٢١م).
- **الإتقان في علوم القرآن**: جلال الدِّين السُّيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة (١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م).
- **الإحكام في أصول الأحكام**: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، تحقيق: محمد تامر حجازي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (٢٠١٠م).
- **أدب الكتَّاب**: أبو بكر محمد بن يحيى الصُّولي، نسخَه وعنى بتصحيحه وتعليق حواشيه: محمد بهجة الأثري، ونظر فيه علامة العراق: السيد محمود شكري الآلوسي، المطبعة السلفية بمصر، المكتبة العربية، ببغداد (١٣٤٢هـ).
- **الإقناع في القراءات السبع**: أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري، أبو جعفر، المعروف بابن البَاذِش، دار الصحابة للتراث، طنطا، (د. ت).
- **الانتصار للقرآن**: محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني، تحقيق: د. محمد عصام القضاة، دار الفتح، عَمَّان، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).
- **البرهان في علوم القرآن**: محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، الطبعة الأولى (١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م).
- **بيان جهد المقل**: محمد بن أبي بكر المرعشي الشهير بساجقلي زادة، تحقيق: سالم قدوري الحمد، دار عمَّار للنشر والتوزيع، عمَّان، الطبعة الثانية (١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م).

- **تاريخ الطبري**: محمد بن جرير، أبو جعفر الطبري، دار التراث، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية (١٣٨٧هـ).
- **تأويل مشكل القرآن**: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د. ت).
- **التَّطور اللُّغوي، مظاهره وعلله وقوانينه**: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).
- **تهذيب اللُّغة**: محمد بن أحمد بن الأزهري، أبو منصور، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى (٢٠٠١م).
- **توجيه ظواهر الرسم العثماني عند ابن البناء المراكشي من خلال كتابه عنوان الدليل من مرسوم خط، دراسة تحليلية نقدية**: فتحي بودفلة، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر (٢٠١٤ - ٢٠١٥م).
- **التيسير في القراءات السبع**: أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، دراسة وتحقيق: د. خلف حمود سالم الشغدلي، قدم له وأشرف عليه: الشيخ علي بن عبد الرحمن الحذيفي، والشيخ عبد الرافع بن رضوان بن علي الشرقاوي، دار الأندلس للنشر والتوزيع، حائل، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى (١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م).
- **حجة القراءات**: أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد، تحقيق: سعيد الأفغاني، دار الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م).
- **الحجة للقراء السبعة**: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ الأصل، تحقيق: بدر الدين قهوجي، بشير جويجابي، راجعه ودققه: عبد العزيز رباح، أحمد يوسف الدقاق، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت، الطبعة الثانية (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م).
- **الخصائص**: ابن جني، أبو الفتح عثمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الرابعة (د. ت).
- **دراسات في علم اللُّغة**: كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة (١٩٩٨م).
- **دراسة الصوت اللغوي**: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م).

- **دروس في علم أصوات العربية**: جان كانتينو، نقله إلى العربية وذيله بمعجم صوتي فرنسي - عربي: صالح القرمادي، الجامعة التونسية (١٩٦٦م).
- **دور الكلمة في اللُّغة**: ستيفن أولمان، ترجمة: كمال بشر، مكتبة الشباب، القاهرة، الطبعة الثانية (١٩٦٩م).
- **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**: عبد الرحمن بن خلدون، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠١هـ - ١٩٨١م).
- **رسم المصحف - دراسة لغوية تاريخية**: غانم قدوري الحمد، اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري، العراق، الطبعة الأولى (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م).
- **الرِّعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التِّلاوة**: مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: أحمد حسن فرحات، دار عمَّار، عمان، الطبعة الثالثة (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م).
- **سر صناعة الإعراب**: ابن جني، أبو الفتح عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى (١٤١١هـ - ٢٠٠٠م).
- **شرح المقدمة المحسبة**: طاهر بن أحمد بن بابشاذ، تحقيق: خالد عبد الكريم، المطبعة العصرية، الكويت، الطبعة الأولى (١٩٧٧م).
- **شرح طيبة النشر في القراءات**: محمد بن محمد أبو القاسم محب الدين النويري، تحقيق: مجدي محمد سرور سعد باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م).
- **شرح كتاب سيبويه**: أبو سعيد السيرافي، تحقيق: أحمد حسن مهدلي، علي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى (٢٠٠٨م).
- **الصَّاحبي في فقه اللُّغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها**: أحمد بن فارس بن زكرياء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م).
- **طيبة النشر في القراءات العشر**: أحمد بن محمد بن يوسف بن الجزري، تحقيق: محمد تميم الزعبي، دار الهدى، جدة، الطبعة الأولى (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م).

- **علم اللُّغة العربية**: محمود فهمي حجازي، وكالة المطبوعات، الكويت (١٩٧٣م).
- **عنوان الدلَّيل في مرسوم خط التَّنزيل**: أبو العباس أحمد بن البناء المراكشي، حققته وقدَّمتْ له: هند شلبي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى (١٩٩٠م).
- **غرائب اللغة العربية**: رافائيل نخلة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت (١٩٥٩م).
- **غريب الحديث**: أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الطبعة الأولى (١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م).
- **فضائل القرآن للقاسم بن سلام**: أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي، تحقيق: مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م).
- **فقه اللغة**: علي عبد الواحد وافي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الثالثة (٢٠٠٤م).
- **في اللَّهجات العربية**: إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الثالثة (٢٠٠٣م).
- **في فلسفة الأداء الصَّوتي في القرآن الكريم للمتعلمين**: سعد عبد الغفار، عطية يوسف، منشورات منظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو (٢٠٢١م).
- **الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها**: يوسف بن علي بن جبارة اليشكري، تحقيق: جمال بن السيد بن رفاعي الشايب، مؤسسة سما للتوزيع والنشر، الشارقة، الطبعة الأولى (١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م).
- **كتاب السبعة في القراءات**: ابن مجاهد، أحمد بن موسى بن العباس التميمي، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية (١٤٠٠هـ).
- **كتاب المصاحف**: أبو بكر بن أبي داود، عبد الله بن سليمان السجستاني، تحقيق: محمد ابن عبده، مكتبة الفاروق الحديثة، القاهرة، الطبعة الأولى (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م).

- **الكتاب**: سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).
- **الكناش في فني النحو والصرف**: عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن أيوب، الملك المؤيد، صاحب حماة، دراسة وتحقيق: رياض بن حسن الخوام، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان (٢٠٠٠م).
- **لسان العرب**: محمد بن مكرم بن علي، ابن منظور، تحقيق: اليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة (١٤١٤هـ).
- **اللغة العربية، تاريخها، ومستوياتها، وتأثيرها**: كيس فريستيغ، ترجمة: محمد الشرقاوي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، الطبعة الأولى (٢٠٠٣م).
- **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**: ابن جني، أبو الفتح عثمان، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).
- **المحكم في نقط المصاحف**: عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر، أبو عمرو الدَّاني، تحقيق: د. عزة حسن، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية (١٤٠٧هـ).
- **مختصر التبيين لهجاء التنزيل**: أبو داود، سليمان بن نجاح بن أبي القاسم، مجمع الملك فهد، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م).
- **مدخل إلى نحو اللُّغات السَّاميَّة المقارن**: موسيكاني سباتينو، وآخرون، تحقيق: مهدي المخزومي، عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى (١٩٩٣م).
- **المساعد على تسهيل الفوائد**: بهاء الدين بن عقيل، تحقيق: د. محمد كامل بركات، جامعة أم القرى، دار الفكر، دمشق، دار المدني، جدة، الطبعة الأولى (١٤٠٠هـ).
- **معاني القرآن**: أبو زكريا يحي بن زياد بن عبد الله الفراء، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، الطبعة الأولى (د. ت).
- **معجم الجذور المجردة لكلمات القرآن الكريم**: محمد بن عبد القادر الدباغ، بغداد، الطبعة الأولى (١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م).

- **المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية «شرح ألفية ابن مالك»**: أبو إسحاق إبراهيم ابن موسى الشاطبي، تحقيق: د. محمد إبراهيم البنا، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، مكة المكرمة، الطبعة الأولى (١٤٢٨هـ).
- **المقنع في رسم مصاحف الأمصار**: عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر، أبو عمرو الداني، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، (د. ت).
- **مناهج البحث في اللغة**: تمام حسان، مكتبة الأنجلو المصرية، بدون تاريخ.
- **مناهل العرفان في علوم القرآن**: محمد عبد العظيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، الطبعة الثالثة (١٣٦٢هـ - ١٩٤٣م).
- **الموطأ**: مالك بن أنس، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان (١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م).
- **النشر في القراءات العشر**: أحمد بن محمد بن يوسف ابن الجزري، تحقيق: علي محمد الضبَّاع، المطبعة التجارية الكبرى، القاهرة، (د. ت).
- **نشوء اللغة العربية ونموها واكتمالها**: أنستاس ماري الكرملي، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة (٢٠٢٠م).
- **نظرية السِّياق بين القدماء والمحدثين، دراسة لغوية نحوية دلالية**: عبد النعيم خليل، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، الطبعة الأولى (٢٠٠٧م).
- **الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه**: مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، بإشراف: الشاهد البوشيخي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، الطبعة الأولى (١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م).

المجلات العلميَّة:

- **خصائص لهجة قريش «الإمام نافع نموذجاً»**: لجين ناصر الزرقي، حولية كلية اللغة العربية بجرجا، مصر، العدد (٢٥)، الجزء العاشر (١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م).

- **رسم المصحف بين التوجيه اللغوي والتوجيه الدلالي**: غانم قدوري الحمد، مجلة العلوم الشرعية واللغة العربية، العدد الأول، السنة الأولى، جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز، المملكة العربية السعودية (١٤٣٧هـ- ٢٠١٦م).

المواقع الإلكترونية:

- **معجم الدوحة التاريخي للغة العربية على شبكة الإنترنت:**
- https://www.dohadictionary.org/about-dictionary

المراجع الأجنبية:

- Barsoum. (1971) Ignatius Aphrem I. Majma al-Lughah al Virginia University Press.
- Belova, A. G. (2009). South Semitic Languages. In: Kees Versteegh (ed), Encyclopaedia of Arabic language and linguistics. Vol.4.
- Bernard, Lewis. (2002) Arabs in History. Oxford - U. K: University of Oxford press.
- Jeffery, Arthur. (1938) The Foreign vocabulary of the Qur'an. Leiden - Brill Oriental Institu Baroda.
- Pugh, Albert (1951). History of the English language. London: Routledge and Kegan Paul.
- Sawma, Gabriel (2006) The Aramaic Language of the Qur'an. New York - U.S.A: Adibook.
- Studies in Semitic Languages and Linguistics, Editorial Board: Aaron D. Rubin and Ahmad Al-Jallad,volume 106, Brill, Leiden-Boston, 2022.
- The American Journal of Semitic Languages and Literatures. (1885) Chicago - U.S.A: American Publication Society of Hebrew.
- Thomas, Carson. Joann, Cerrito.) 2004 (New Catholic Encyclopedia. Washington U.S.A: The Catholic University of America.
- William, Popper. (1905) The Jewish Encyclopedia: Rxcord of The H Of the Jewish People from The Earliest Times to The Presen Company.
- Wolff, H. Ekkehard. (May. 14/2018), Afro-Asiatic languages: Encyclopedia Britannica, (September. 17/2020).

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
ملخص البحث	٢١
المقدمة	٢٣
المبحث الأول: مقدماتٌ تأسيسيَّة	٢٨
المطلب الأول: مفهوم الرَّسم العثماني	٢٨
المطلب الثَّاني: ظواهر الرَّسم العثماني، ومذاهب العلماء في توجيهها	٢٩
المطلب الثَّالث: مفهوم السِّياق الصَّوتي للنَّظْم القرآني	٣٤
المطلب الرَّابع: ظاهرة الإبدال في الرَّسم العثماني	٣٥
المبحث الثَّاني: أثرُ السِّياق الصَّوتي الخارجي في إبدال الألف واواً في الرَّسم العثماني	٣٧
المطلب الأول: أثرُ السِّياق اللَّهَجي في إبدال الألف واواً	٣٧
المطلب الثَّاني: أثر السِّياق اللُّغوي التَّاريخي في إبدال الألف واواً	٤١
المبحث الثَّالث: أثرُ السِّياق الصَّوتي الداخلي في إبدال الألف واواً في الرَّسم العثماني	٤٨
خاتمة بنتائج وتوصيات البحث	٥٣
المصادر والمراجع	٥٥
فهرس الموضوعات	٦٢